موسوعة الحياة الرهبنة السليمة

الإصدار السادس ٢٠٢٤م

الباب الثاني: الرهبنة وفضائلها

إعداد الراهب: أبانوب المحرقي

الرهبنة حياة
"نوح ـ دموع ـ انسحاق ـ مسكنة"

{١}
مار إسحق السرياني

📖 ١٠٠ــ نوعٌ واحد نوراني من {أفعال} النعمة، ينمو بغتةً من القلب دون أن نحس، ويسقي النفس ويرويها بالفرح، ويغرق الزوان بالمجاري السائلة من العيون.

📖 هو أخْير من ربوة صلوات ومطانيات نعملها ونحن غير حاضرين بذهننا في الموضع حيث نصلي، بل تعوم على {سطح} القلب والضمير مثل السقط الذي لم يكتمل.

📖 فاحذر ههنا من ضلالة الشياطين لأنهم يشبِّهون طغيانهم بالحق، وأيضاً لا تدفع منك نعمة الله؛ لأن ضلالة الشياطين مع الانفعال

بالقلب، تحرك أيضاً الأعضاء السفلية التي للشهوة وتثيرها بلذة التنازل.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الخامس ـ صفحة ١٨٠

📖 **[٨١]** يا الله، أهِّلني لتلك المذاقة المفرحة، الموضوعة في التوبة الحقيقية، والتي يغتذي منها التائبون المُحقّون كل يوم، هؤلاء الذين لا يرذلون البكاء، أو يدعونه عمل الأطفال، بل يغتذون {منه} الشهد الذي كُتِبَ عنه في الأسفار الإلَهية {٢ صم ١٧:٢٨}.

📖 **[٨٢]** إلى جانب النظرة الروحية، كان البكاء مُكرَّماً أيضاً عند الآباء، مثلما قيل عن القديس أرسانيوس: أن الدموع كانت دائماً كَحارسٍ مستعدٍّ أمام جفون عينيه.

📖 وذلك الجبّار الطوباوي بولس، الإناء الممتلئ بالروح، لَم تَهدأ عيناه من البكاء مدَّة ثلاث سنوات، كما ذكر عنه القديس لوقا في سفر الأعمال {أع ٢٠:٣١}.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الاولي ـ صفحة ٦٥١

📖 النوّاح هو الذي بالجوع والعطش يخرج كل أيامه بهذه الحياة من أجل انتظار الرجاء السمائي، محب المديح ليس هو الذي إذا مُدح يستريح بالمدح ويفرح، بل هو الذي يتحايل أسباب المديح.

📖 الدموع في الصلاة هي دليل على الرحمة الإلهية، التي حظيت بها النفس، وان توبتها قد قُبلت، وبدأت تدخل إلى برية النقاوة، من خلال دموعها. إذا لم تُنتشل الأفكار، من الهذيذ في الأمور الزائلة، ولم يُنزع منها رجاء هذا العالم، لا يتحرك فيها الازدراء به.

📖 وإذا بدأ الإنسان بإعداد الزاد ليوم الانتقال، بتأمل النفس في أمور الدهر الآتي، حينئذ لا تحتمل الأعين، إلا ان تسكب الدموع.

📖 لان هذه الدموع، تحدث من الهذيذ الحقيقي، الذي بغير طياشة، ومن الأفكار المتواترة غير المائلة، ومن تذكُّر أي شيء دقيق، يقع في الفكر ويُحزن القلب بالهمِّ به، فمِن هذه الأشياء تتواتر الدموع.

📖 مَن اقتنى في صلاته دموعاً، هو كإنسان يقدم قربانا عظيماً للملك، وقد اقتنى عنده وجهاً بهجاً، فان الدموع المنسكبة أمام الله، تمحو كل أنواع خطايا الإنسان، وتجعله يقتني عنده وجهاً بهجاً.

📖 البكاء الدائم هو إذا ما ضعف الضمير وانحطَّ الجسد وتخلف عن العمل وان علَّمك إنسان ما يضاد هذه الأمور، فلا تثق بقوله، فغير الدموع، لا تطلب من الجسد دليلاً واضحاً، على الإحساس بالحق بعلامة ظاهرة، إلا الهدوء فقط من انفعال الأعضاء.

📖 القلب الطاهر، يفيض الدموع بفرح أثناء الصلاة. قربان الأبرار دموع عيونهم، وذبيحتهم المقبولة تنهدهم في الأسهار.

📖 الذين هم بطبيعتهم ودعاء وهادئون وذوو حركات نيِّرة مفرزة، معلوم أنه سهل عليهم {انسكاب} الدموع، لأنه حيث يوجد تواضع القلب بإفراز، لا يقدر الإنسان أن يمسك نفسه عن الدموع، فمن غير أن يريد يفيضها القلب على الدوام من الحزن الحار وانكسار القلب الذي فيه.

📖 ينبغي لنا جداً الجلوس وحدنا لكي نبكي وننوح على أيامنا التي جازت باطلاً فارغة، واضمحلت، وليس ينفعنا وقت الموت أحدٌ، لا إخوة ولا أصدقاء، السعيد حقاً هو الذي يتفكر في هذا، ويجمع أفكاره إلى ذاته وينقبض من الطياشة الباطلة، ولا يتخلف وقتاً واحداً عن الصلاة والتوبة.

📖 في فضيلتين جمع الآباء القداسة كلها، وهما: التواضع والنوح.

📖 إذا ما أحببنا أن نهرب من العالم وأن نتغرب من أموره، فليس شيء يفصلنا هكذا منه، ويميت الآلام التي فينا، وينهضنا ويحيينا في

الأمور الروحية، مثل "النـوح وتوجـع القلـب المـرتبط بـالتمييز" فـإن وجه الإنسان المستحي والوقور يماثل اتضاع الحبيب.

📖 إن الدموع، ولطم الرأس في الصلاة، والتلاوة بحرارة، تثير حـلاوة حرارتها داخل القلب وتجعلـه يطيـر إلـى الله بـذهول ممـدوح هاتفـاً: «عطشت نفسي إلى الله القوي الحـي، متـى أتقـدم وأعـاين وجهك يـا رب»؟ والذي شرب وارتوى من هذه الخمر، ثم عَدِمها بعد ذلك، هو وحده يعرف في أي شقاءٍ هو، وما الذي قد سُلب منه بسبب تراخيه.

📖 وإن لم تَنحْ بقلبك، فلا أقل من أن يَغشى النوح وجهك.

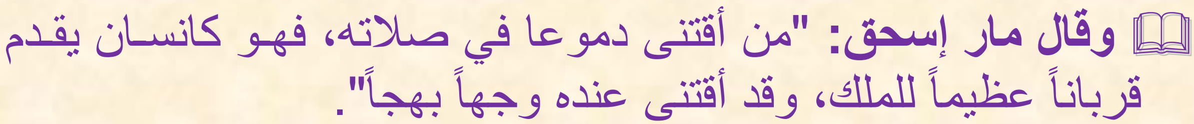
📖 **[٧٤]** ... فالذي هو وحده منقبض مع ذاته، حتى وفـي العـالَم، هـذه هي سنَّته: البكاء. إنه لا يَهتمّ بشـيءٍ آخـر فـي أيـام بكائـه إلا بـالنوح فقط، وهو عادم الاهتمام بكل شيء آخر.

📖 لأن النوح هو حزنٌ واحـدٌ فريـد، يضـبطه النـائح كَسـور، وأُسٍّ فـي القلب، الذي لا يرضَـى أن يُخفِّف منه إن لَم يَجد العزاء من الداخل في الشيء الذي ينوح من أجله. لأنه يوجد بكـاءٌ خفـيٌّ داخـل القلـب غيـر البكاء الظاهر.

📖 والذي يَحمل في قلبه حُزناً دائماً مـن أجـل خطايـاه، أو قـد انفرشـت على قلبه كآبة بتذكار آلام ربنا له المَجـد، أو هـو حـزينٌ لأجـل أنـاسٍ خطاة، أو حزينٌ من أجـل الأمـور السـمائية بانتظارهـا دائمـاً، هـذا لا يتعزَّى بشيءٍ من أمور هذا العالَم، ولا يتسلَّى إلا إذا وجد شهوته التي ينوح من أجلها.

📖 هذا هو النوح الدائم، الذي يكون بغير دمـوع ظـاهرة بالجسـد، نـوح الإنسان الذي يبكي دائماً في خفاياه. والذي قد اقتنَى أي نوعٍ مـن هـذه الأنواع داخل نفسه فله "طوبى للنائحين لأنَّهم يتعزّون".

📖 لو أبطأ عزاؤكَ أيها النائح بتمييز، فلا تَحزن، لأنه قبل أن تنتقل من هذا الجسد يُظهِر لكَ سعادتك، وعند ذلك ينقلك من الجسد.



وقال مار إسحق: "من أقتنى دموعا في صلاته، فهو كانسان يقدم قرباناً عظيماً للملك، وقد أقتنى عنده وجهاً بهجاً".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٣



عندما نرغب في مغادرة الدنيا، والتغرب عن أهل العالم، فلا شيء يفصلنا عنها، ويميت فينا الأهواء، ويحرك الأمور الروحية، ويحييها. مثل النوح، وتوجع القلب الصائر بتمييز. لأن الشخص المحتشم يقتدي بتواضع المحبوب.

لا شيء يجعلنا نسير مع العالم، وأهل العالم. ونرافق المعربدين، والسكارى، ويفصلنا عن كنوز حكمة الله، ومعرفة أسراره. أكثر من الضحك، والتشتت.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثانية ـ صفحة ٢١



١٣- إذا دخلت في أمر ما، ولم تكن متأكداً منه، فلتكن لك العلامات التالية: عندما تبدأ النعمة بفتح عينيك، لتفهم رؤية الأشياء على حقيقتها، تبدأ عيناك حالاً بسكب الدموع الغزيرة، التي كثيراً ما تغسل خديك. ثم تهدأ حرب الحواس، وتتقلص في داخلك.

إذا شاء أحد أن يعلمك عكس ما أقول فلا تصدقه، ولا تحاول التفتيش عن علامة أخرى في الجسد، أشد وضوحاً من الدموع.

أما عندما يرتفع الذهن عن المخلوقات، فيتوقف الجسد عن الدموع، وعن كل حركة، وإحساس.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والعشرون ـ صفحة ٩٢ ـ ٩٣

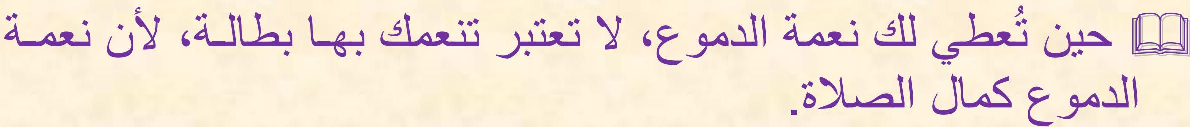


الدموع التي تترقرق أثناء الصلاة، هي دليل رحمة الله التي استحقتها النفس، توبتها المقبولة. ودليل دخولها روضة النقاوة.

إذا لم تجرد الأفكار مما هو عابر، ولم تنزع منها الأمل بهذه الحياة الدنيوية، ولم يتحرك فيها ازدراء العالم، لا تبدأ إعداد الذخائر الصالحة للخروج من العالم (الموت).

وإذا {مع ما سبق} لم تتأمل النفس في نور الدهر الآتي، لا تستطيع العينان سكب العبرات. فالدموع تأتي من التأمل السليم المنزه عن التشتت، ومن الأفكار الكثيرة المتواصلة الثابتة، ومن أقل ذكر حاصل في الذهن يسبب الحزن للقلب. بهذه الأفكار تكثر الدموع وتزداد شيئاً فشيئاً.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والثلاثون ـ صفحة ١٣١



حين تُعطي لك نعمة الدموع، لا تعتبر تنعمك بها بطالة، لأن نعمة الدموع كمال الصلاة.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الرابعة والثلاثون ـ صفحة ١٣٣



وقال مار إسحق:

"إحذر من حياة الخلطة، لأنها تعوق سائر أنواع التوبة".

"التخاطب مع كثيرين، يعوق الحزن الذي من أجل الله".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٧

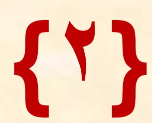


والذي يعيش كل أيامه في الجوع والعطش، من أجل الخيرات الآتية، هو نواح.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والخمسون ـ صفحة ٢٠١

"غنى الراهب هو: "التعزية الناتجة من النوح. والفرح الصادر من مخادع الذهن، نتيجة الإيمان الساطع".

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والخمسون ـ صفحة ٢٠١



القديس يوحنا السلمي

📖 الانسحاق يختلف عن معرفة الذات، وكلاهما يختلف عن التواضع

📖 فالانسحاق وليد السقوط، لأن من يسقط يتهشم، فيقف في صلاته مكروباً بغير دالة، ولكن بوقاحة ممدوحة، متكئا على عكاز الرجاء وطاردا به كلب اليأس. أما معرفة الذات فهي إدراك المرء لمقدرته، وذكر لا يهدأ لأصغر زلاته.

📖 وأما التواضع فعلم روحي يعلمه المسيح للذين يؤهلون له، وهو مدخر {مكنوز} عقليا في خزانة نفوسهم، ويتعذر تعبيره بأقوال حسية.

📖 أن اتضاع النائحين الكئيب، هو غير الاتضاع الذي يلازم توبيخ الضمير عند الذين لم يتحرروا بعد من خطاياهم، وهو أيضاً غير غني الاتضاع المغبوط الكامل عند الكاملين بفعل الله. أما التواضع الثالث فلا نبادرن الى وصفه بالكلام لئلا نسعى باطلا.

📖 وأما علامة التواضع الثاني فهي الصبر الكامل على الهوان، ولكن كثيراً ما تعود العادات السيئة فتطفي حتى على النائحين، ولا عجب في ذلك، فان التمييز بين السقطات غير واضح العالم ولا يدركه الجميع، فأي سقطات تعرض لنا بسبب توانينا، وايها تعرض بإهمال تدبيري من الله، وأيها تعرض لارتداده عنا؟ ولكن أحدهم شرح لي أن السقطات التي تعرض لنا بإهمال تدبيري نرجع عنها سريعا، لأن الله الذي أسلمنا الهيا لا يسمح بأن نضبط فيها طويلاً.

📖 من يحاسب نفسه حقيقة يحسب انه قد أضاع اليوم الذي لم يبك فيه ولو عمل خلاله الصالحات. حيث روح الرب ينحل رباط الخطيئة. وحيث اتضاع لا قياس له ينحل رباطها أيضاَ. فلا ينخدعن الخالون من الاثنين لأن الخطيئة لا تزال تربطهم.

📖 النوح المرضي عند الله هو "نفس كئيبة وقلب حزين يغرق ابدا في طلب ما يتوق إليه"، وما دام لا يحظى به يلتمسه بمشقة ويتأوه وراءه بتوجع. أو في تعريف آخر النوح هو منخس ذهبي لنفس طرحت عنها كل مطمع ورباط وقد غرسه وثبته فيها الحزن المقدس بواسطة يقظة القلب.

📖 نخسي القلب هو تقريع دائم للضمير يؤدي من خلال الإقرار القلبي بالخطايا الى تهدئة اضطرام القلب، والإقرار بالخطايا هو نسيان الطبيعة، ما دام داود قدسها بسببه عن اكل خبزه.

📖 إن مزية البادئين بالنوح المغبوط في الإمساك عن الأهواء وضبط الشفتين، ومزية المتقدمين فيه هي عدم الغيظ وعدم الحقد، أما مزية الكاملين فيه فهي الاتضاع، والعطش إلى الإماتات، والجوع الطوعي الى المشقات الكرهية، وعدم إدانة الخطاة بل ألترثي لهم ترثيا فائق القدرة، فالأولون مقبولون والوسطيون جديرون بالثناء، أما الجياع والعطاش الى الضيق والهوان فمغبوطون لأنهم سيشبعون من الطعام الذي لا يشبع منه

📖 إذا حظيت بالنوح فحافظ عليه بكل قوتك لأنه يسهل فقدانه قبل استقراره، وكما يذوب الشمع بالنار {هكذا} يتلاشى {النوح} سريعا من جراء الضوضاء والاهتمامات الجسدية والتنعم وخاصة من جراء كثرة الكلام والمزاج.

📖 أتجاسر وأقول ان ينبوع الدموع الموهوب لنا بعد المعمودية هو أعظم من المعمودية لأن هذه لا تطهرنا إلا من السيئات الحاصلة قبلها وأما ذاك فتطهرنا من السيئات التي تحدث بعدها، وبما أننا اقتبلناها كلنا أطفالا فقد ينساها، ولكننا بالدموع نستعيد تطهيرنا، ولو لم يهب الله الدموع للناس محبة بالبشر لكان الذين يخلصون قليلين حقا ويعسر وجودهم.

📖 إن أنات الحزن تصرح نحو الرب ودموع الخوف تستشفعه، أما دموع الحب الأقدس فتوضح أن صلاتنا قد قبلت عنده تعالى. أبصرت ينابيع عبرات تتدفق بلا جهد فحكمت بالأمر حسب مقدار التعب لا مقدار الدموع، وأظن إن الله يحكم كذلك.

📖 إن التكلم باللاهوت لا يلائم النائحين لأنه من شأنه أن يلاشي نوحهم فالمتكلم باللاهوت يماثل المتربع على كرسي المعلمين وأما النائح فيماثل المقيم في المزبلة واللابس المسح، واني أري إن هذا هو معني جواب داود النبي الذين أستخبروه حين كان ينوح إذ قال: «كيف اسبح تسبحة الرب في ارض غريبة؟» أي في بلد الأهواء، مع أن داود كان معلما وحكيما.

📖 من أنواع نخس القلب ما يتحرك من ذاته ومنها ما يحركه غيره كما هو الأمر في الطبيعة عامة، فاذا صارت نفسنا رقيقة ندية دامعة دون أن نبذل جهدا في سبيل ذلك ودون أن نقصده فلنسر فيه قدما لأن ربنا قد وافي إلينا دون أن ندعوه واهبا لنا حزنا الهيا في سبيل حبه ومياه راحة أي دموعا خاشعة لأجل محو هفواتنا، فاحفظ هذه الدموع حفظك لحدقة عينك الى أن تتوقف، فان قوة هذا النوع من البكاء ونخس القلب عظيمة وتفوق قوة البكاء الذي يتكون بجهدنا وتأملاتنا.

📖 من يبكي حين يشاء لم يصل بعد إلى النوح الصالح، بل لم يصل إليه أيضاً من يبكي للسبب الذي يشاء، وإنما من يبكي كما يشاء الله، كثيراً ما تقترن دمعة العجب القبيحة بالنوح المرضي لله وسنعرف هذا بالخبرة إذا رأينا ذواتنا نائحين وفي الوقت نفسه مستمرين في عمل الشر.

📖 إن نخس القلب الحقيقي هو توجع النفس العادم الافتخار والذي لا تتيح النفس لذاتها فيه أي نوع من السلوى بل تتصور على الدوام

مفارقتها للجسد وحسب، منتظرة تعزية الله العزي المتضعين انتظار العطشان للماء البارد.

🕮 إن جميع الذين امتلكوا نوحا قلبيا مقتوا حياتهم عينها كشيء ثقيل متعب ومصدر للدموع والأوجاع ونبذوا أجسادهم نبذهم لعدو. متى عاينا غيظا وكبرياء في الذين يبكون في الظاهر بكاء يرضي الله فلنحسب دموعهم مرفوضة لديه لأنه قيل: "أية شركة للنور مع الظلمة"؟

🕮 حصيلة النوح المزيف ادعاء وغرور، وحصيلة النوح الحميد سلوة وعزاء، وكما تبيد النار القصب تبيد الدمعة الطاهرة كل دنس جسدي وروحي. يشير الكثيرون من الآباء الى التباس أمر الدموع وصعوبة تمييز نوعيتها خاصة عند المبتدئين لأنها تنجم عن أسباب كثيرة ومختلفة أعني عن الطبيعة والله والبلايا والعجب والزنى والحب وذكر الموت وعن أسباب أخرى متعددة.

🕮 فلنميز أسباب هذه الدموع في ضوء خوف الله ولنجعل لنا دموعا طاهرة نقية تحسرا على آخرتنا، فهذه الدموع ليس فيها غرور، أو غش، بل تطهير، وتقدم في حب الله، وغسل للخطيئة، والهوى.

🕮 لا تركن الى ينابيع دموعك قبل أن تتطهر طهارة تامة، لأننا لا نستطيع أن نضمن جودة الخمر ساعة خروجه من القدر.

🕮 لن ينكر أحد إن كانت دموعنا المرضية لله نافعة كل المنفعة، ولكننا في وقت خروج النفس فقط نعرف مدى فائدتها لنا.

🕮 من يقضي أيامه في نوح دائم مرضي الله لن يكف عن التعييد كل يوم، ومن لا يكف عن التعييد تعييدا جسدانيا فهو مزمع ان ينوح نوحا أبديا. ليس للمجرمين في السجن فرح، وليس للرهبان الحقيقيين على الأرض عيد.

📖 اقبع في قلبك بتواضع وكن متساميا كملك، تقول للضحك اذهب، فيذهب وللبكاء الحلو تعال فيأتي وللجسد العبد المتسلط اعمل هذا فيعمل، من تسربل بالنوح المغبوط، المنعم به عليه كحلة عرس، عرف ضحك {بهجة} النفس الروحاني، من يبل خديه بالمياه الحية ذاكرا على الدوام موته وسقطاته يعتق من السقوط حقا.

📖 من يفتخر بدموعه ويلوم في قلبه الذين لا يبكون، يشبه من يطلب من الملك سلاحا لمحاربة أعدائه ويقتل به نفسه. لا يحتاج الله يا احبة ولا يريد أن يبكي إنسان ويتوجع بل يشاء بالأحرى أن يبتهج بدنه ويتهلل، أزل يا هذا الخطيئة فتصير الدمعة الموجعة في الأعين الحسية فضلة زائدة، لأنه لا حاجة الى تنظيف حيث لا يوجد جرح، لم يكن لأدم دموع قبل المعصية، ولن تكون دموع بعد القيامة، حيث تكون الخطيئة قد أبيدت وزال معها الوجع والغم والتنهد.

📖 رأيت عند البعض نوحا، وعند غيرهم نوحا لافتقارهم الى النوح، ومع انهم يبكون كانوا كمن لا يبكون، ولعدم علمهم بتوجع قلبهم استمروا فيه مصونين.

📖 كثيراً ما تؤول الدمعة بذوي الخفية الى التكبر، ولهذا السبب لا تعطى لبعض الناس، حتى يندبوا حظهم لحرمانهم منها، ويبتغوها وهم يوجبون اللوم على أنفسهم في حسرة واكتئاب، متألمين، وواجمين، حيارى، فأن هذه الأتعاب تقوم لهم مقام الدمعة خلوا من خطر التكبر وان كانوا لا يحسبونها شيئا، الأمر الذي هو موافق لهم.

📖 إنني انذهل لما أفكر في خاصية نخس القلب كيف يدعي نوحا وحزنا، بينما يحوي معهما الفرح والسرور على مثال ما يحوي الشهد العسل متداخلين ومتمازجين، فماذا نتعلم من ذلك؟

📖 أن نقر بأن مثل هذا النخس هو موهبة من الرب حقا، وانه ليس في النفس عند ذاك فرح خال من الفرح الحقيقي لان الله إنما يعزي منسحقي القلوب بصورة سرية.

📖 أه أه - كما أن الأرملة التي فقدت رجلها وبقي لها منه ابن وحيد، لا يكون لها عضد بعد الرب سواه كذلك النفس التي سقطت ليس لها عضد عند الوفاة سوي أتعاب أصوامها ودموعها.

📖 فالنوح لا يزال بعيدا جدا عنك لأنه وجع متأصل في قلب يلتهب.

📖 لقد صار النوح للكثيرين مدخلا للاهوي.

📖 حدثني راهب مجاهد قد خبر هذا النوح الجليل فقال: كثيراً ما هممت أن اجنح الى عجب أو غيظ أو شراهة، فكان فكر النوح يحذرني في داخلي قائلا: لا تتباها، أو لا تغتظ، أو لا تشبع، والا فارقتك، فكنت أجيبه": لن أخالفك البتة حتى توقفني في حضرة مسيحي. ان لجة النوح عاينت تعزية، ونقاوة القلب اقتبلت إشراقا، والإشراق فعل لا يوصف، تفطن له دون ان تفقهه، وتعاينه دون أن تبصره حسيا، والتعزية راحة لنفس متألمة حالها حال طفل باك يتهلل، فان اجر النوح تجديد نفس غارقة في الغم يتحول دمعها المؤلم الى دمع مفرح بصورة عجيبة.

📖 الدموع الناتجة عن ذكر الموت تولد الخوف، وإذا ولد الخوف الاطمئنان أشرق الفرح، وإذا هدا هذا الفرح واستمر ثابتا اينعت زهرة الحب المقدس. ارفض الفرح الوارد إليك وروداً عابراً ورده بيد التواضع كأنك غير أهل له لئلا تكون سريع الاقتبال، فتستقبل عوض الراعي ذئبا.

📖 ان الذي سمع صدور الحكم عليه بالإعدام لن يهتم فيما بعد بإدارة المسارح مثلا، وكذلك النائح الصادق لن يعير أي التفات الى تنعم أو

مجد باطل أو غيظ وغضب، فالنوح الم يتأصل يوما بعد يوم في نفس تائبة تزيد على وجعها أوجاعاً كالمرأة الحامل عند المخاض.

📖 الرب عادل وبار يمنح الصامت الهادىء توجعا، والمطيع الصادق سرورا، ومن لا يسلك بإخلاص إحدى هاتين الطريقتين يحرم من النوح ما يعمل بإحساس يصعب انتزاعه.

📖 هناك أهواء تجفف ينابيع الدموع، وأهواء أخرى تلد فيها الحمأة والوحوش، فبالأولى اقترن لوط بابنتيه سفاها، وبالثانية هبط إبليس مساقطا. كثيراً ما لاشت النوح كلمة واحدة، ولكن من العجب أن تعود فتسترجعه كلمة واحدة.

📖 لن نلام يا اخوه عند خروجنا من الدنيا على عدم اجتراحنا للعجائب أو عدم تكلمنا باللاهوت أو عدم معايننتنا للرؤى، لكننا سنؤدي حسابا لله بالتأكيد عن إننا لم نبك دون انقطاع. أن اتخام المعدة يجفف ينابيع الدموع، أما إذا جفت المعدة بالإمساك فتنبع تلك المياه.

📖 يحدد الآباء أن الجهاد ألرهباني يقوم على فضيلتين، عامتين، شاملتين، أكثر من كل الفضائل، وذلك بحق، لأن الواحدة: {الصوم} تقصي الملذات، والأخرى: {الطاعة} تثبت بالتواضع، أما النوح فله ذلك الفعل المضاعف، إذ يقصي الخطيئة، ويولد التواضع.

📖 كما أن كثرة الحطب تخنق لهيب النار وتطفئه، وتحدث دخانا كثيفا، كذلك الحزن المفرط، كثيراً ما يجعل النفس عكرة، ومظلمة، ويجفف الدموع {لأنه يقود إلى اليأس}.

📖 كما يمحو الماء الكتابة، كذلك تمحو الدموع الزلات.

📖 كما أن الذين ينقصهم الماء لمحو الكتابة، يلجأون إلى طرق أخرى، كذلك إذا عجز البعض عن ذرف الدموع، فإنهم يمحون خطاياهم، ويزيلونها بالحزن، والاكتئاب الجزيل.

{٣}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 النوَّاح هو الذي يصرف كل أيام حياته، في الجوع والعطش، من أجل رجاء الخيرات العتيدة.

📖 تيقظ يا أخي قبالة الروح الذي يجلب الحزن {الكآبة} على الإنسان، لان كثيرة هي فخاخه ليجعلك أخيراً بغير قوة، الحزن الذي بحسب الله هو فرح، عندما ترى إنك قائم في مشيئة الله، أما ذاك الذي يقول لك: إلى أين يمكنك أم تَهرب؟ فلم تعد لك توبة. فذلك من العدو الذي يضغط على الإنسان حتى يتخلى عن تجلده.

📖 أما الحزن بحسب الله فهو بالعكس لا يثقل على الإنسان، بل يقول له: لا تخف، تعالى مرة أخرى. لان الله يعرف ان الإنسان ضعيف وعاجز وهو يقويه. النوح يطرد جميع الشرور بغير اضطراب.

📖 طرح الإنسان نفسه أمام الله، يلد احتمال المحقرة بغير انزعاج، ودموع تلك النفس تكون صحيحة، وسالمة من كل ما هو بشري

📖 **الجهاد مقابل:** روح الحزن، والفقر الاختياري.

📖 إذا كنت قد تركت عنك كل الأشياء المرئية، فتيقظ مقابل شيطان الحزن، بسبب فقرك الكثير وضيق معيشتك، لئلا تعجز عن بلوغ الفضائل العظيمة التي هي: إلا تظن بنفسك إنك شيء، أن تحتمل الإهانة، إلا تجعل لك اسماً معروفاً في أي أمر من أمور هذا العالم، لأنك إن جاهدت لتقتني هذه الفضائل فهي تعد لنفسك أكاليل

📖 لذلك ليس الذين قد تجردوا من كل شيء وصاروا معوزين من كل ما يُرى، هم وحدهم الفقراء، بل وأولئك الذين تجردوا من كل خبث، وصاروا دائماً جياعاً إلى تذكر الله، كذلك ليس الذين هم في الضيقة

الظاهرة، هم الذين يقتنون عدم الأوجاع، بل أولئك الذين لهم الاهتمام الداخلي، وقطعوا مشيئتهم الخاصة، هم الذين ينالون إكليل الفضائل.

📖 الحزن الذي بحسب اللـه يضني القلب، يقدر أن يجعل منه سيداً على حواسه، وبصموده مع يقظته يحفظ قوى النفس صحيحة، فالإنسان ليس كفئاً أن يثق في نفسه، ولهذا ينبغي أن يجاهد في عمله وألا يتوانى مادام في الجسد.

📖 نحن نعاني من أعدائنا، ذلك لأننا لا نعرف جيداً أخطائنا، كما ونجهل ما هو النوح الذي بمعرفة لأنه لو انكشف لنا النوح لأظهر لنا خطايانا، وإذ تركنا لنبصر خطايانا بحق، لأخذنا الخزي من رؤية الزانيات لأنَهن أفضل منا كثيراً، فهن إنما ترتكبن خطاياهن بوقاحة لأنَهن لا يعرفن اللـه، أما نحن بالرغم من كوننا مؤمنين تستسلم قلوبنا لخطايانا.

📖 ينوح الراهب ويحزن، لئلا من شدة الحروب وضعف الطبيعة يضيع ما قد اقتنى، يحزن المتوحد في السكون كل أيام حياته إلى أن ينظر هو في ذاته نور نفسه، يحزن إذا ذكر ساعة موته وصعود نفسه، لعل يخرج الشياطين الذين قاتلوا معه ويمنعوه من الدخول للفردوس، يحزن إذا ذكر ساعة موته، وقيامه قدام منبر المسيح.

📖 هذا هو عمل النائحين حقاً بالروح والحواس، إزاء الأمور الظاهرة: عدم إدانة القريب، لأنه إذا كانت خطاياك تكفيك فإن ذلك يجعلك تتجاهل خطايا قريبك.

📖 الرد على الإساءة ابتعاد عن النوح، التشبه بشيء ما من أمور العالم من أجل المجد الباطل، غريب عن النوح الذي بحسب الروح.

📖 الحزن ممن لم يأخذ برأيك ليعمل به ابتعاد عن النوح أيضاَ، كذلك اشتهاء الرئاسة يبعدك عنه، إن تصنع إرادتك تبعد عنه.

🕮 إذا أهانك أحد وتألمت من أجل ذلك، فليس للنوح موضع هاهنا بالحقيقة، إن لحقتك خسارة مادية في أمور الأخذ والعطاء وتوجعت لذلك فليس النوح هاهنا، إن قيل عنك كلام لا تعرفه فاضطربت لذلك فليس هو هاهنا، إذا مجدك أحد وقبلت ذلك فالنوح غائب عنك، إن لحقتك إهانة فتوجعت، فليس النوح حاضراً، إذا أسرعت للقاء وجهاء العالم مبتغياً صداقتهم، فليس النوح موجوداً، إذا اختلفت في الرأي مع آخرين وأردت أن تقيم كلامك فليس للنوح مكان هنا.

🕮 إذا احتقر كلامك وحزنت لذلك فليس النوح معك، هذه كلها تبين أن الإنسان العتيق مازال حياً فيك، ويغلبك، لأنه ليس هناك من يصارعه، كما أنه ليس عندك نوح حقيقي، لهذا فإن من يعمل وفق مشيئة اللـه يلزمه أن تكون له عينان روحيتان لكي يعرف ذاته أنَها عدَّوة للـه من جهة إرادتِها.

🕮 اجتهد قدر استطاعتك أن تنكر ذاتك لكي يمكنك أن تتفرغ للبكاء.

🕮 فأضبط نفسك هكذا دائماً في النوح وانتظار الموت كل يوم وأصرخ إلى اللـه بحرارة بغير فتور لكي يقوِّم نفسك برحمته العظيمة ويتحنن عليك وذلك لكي تدوم في الإحساس بالحزن.

🕮 ولا تضحك أو تتلاهى بل كل حين ليتحول ضحكك إلى نوح، وفرحك إلى غم اليوم كله، وأمش دائماً حزيناً من أجل أن نفسك قد امتلأت خزياً. "أحترز وأحفظ نفسك جداً" أن تعتبر نفسك من أعماق قلبك وبالحق أخر الكل وخاطئاً أكثر من جميع المسيحيين، ولتكن نفسك دائماً نائحة باكية ومتخشعه.

🕮 فأقتن هذا النوح الدائم والحزن العظيم والتذلل، وألتمس لنفسك بحسب مشيئة اللـه أن تكمل أتعاب وآلام النفس والجسد من أجل خطاياك، لكي من جهة تثابر بالجسد قدر استطاعتك على الأعمال

اليدوية والأصوام والإماتات الأخرى الكثيرة، متمماً بالحقيقة هذا القول: "أخر الكل وخادماً للجميع" ومن جهة أخرى تتوجع في نفسك متذكراً ذلك البكاء الدائم وصرير الأسنان، مداوماً قدر استطاعتك الهذيذ في الأسفار الإلهية، مع التنهد والصلاة بحرارة من آن لآخر أثناء هذيذك، وذلك لتكون كل حين كمن يخدم القداس بغير انقطاع، بحيث لا تجد الشياطين فرصة لكي يلقوا في قلبك الأفكار الشريرة.

🕮 الويل لنا، لأن عيوننا تمكث هنا بغير دموع، فيحق علينا احتمال عذاب الدموع المحرقة المرة والبكاء، وآلام النار التي لا تُطفأ.

🕮 النوح يطرد جميع الشرور بغير اضطراب. كأن يدوم بغير اضطراب في حواسه، وإذا قال له أي شخص كلمة صعبة كان يسكت ولا يجيب بشيء كما لو كان لم يسمعه، أما حين كنا نقول له: أما سمعت ما يقوله الأخ؟

🕮 كان يقول: نعم، إن الكلام الذي قاله لي اعتبرته فيَّ وقد رأيته فيّ، لأن هذه هي خطيتي وأنا هو المذنب.

🕮 ولما كنا نقول له: ولماذا إذاً لم تصنع له مطانية؟

🕮 كان يجيبنا قائلاً: لأنني لا أريد أن أجرح ضميره.

🕮 وكان مسالماً لجميع الإخوة الكائنين في الموضع الذي كان يسكن فيه، كان الجميع يحبونه ويتشبهون بسيرته.

الأنبا إشعياء الإسقيطي عن الأنبا أغاثون

{٤}

القديس الأنبا برصنوفيوس

🕮 **١٤٩- أب يطلب من الشيخ الكبير{برصنوفيوس}:**

🕮 صلِّ من أجلي، يا أبي، أنا الخاطئ، لأنني مريض، لكي يمكنني أن أتحمل المرض بفرح. وقُل لي كيف أغسل الأوساخ.



جواب الأب برصنوفيوس:

يا أخي العزيز جدًا، إنك تسرّني بكلامك، لأنك بالحري، حسب رأيي، تدّعي في رسائلك أنك أنت نفسك خاطئ، دون أن تفهم ما تقوله. ففي الحقيقة إن الخاطئ إنما هو عبدٌ بطّال.

وأنت تأتي لتقول لي أنك مريض. وواضحٌ أنّ المرض إنما هو تصحيح، وهذا هو التصحيح الذي فُرِض على العبد البطّال.

إذن، فإن كنت تضايقتَ من تلقّي التصحيح، فكُفّ عن أن تكون بطّالاً. وإن كنتَ بطّالاً فاقبل التصحيح، ولكن إن كنتَ تُسرّ من التصحيح، فأنت لستَ بطّالاً، والذي لا يكون بطّالاً فهو محبوب «لأنّ الذي يحبه الرب يؤدِّبه» {عب١٢: ٦}!

فانظر، إذًا، ماذا تكون أنت بالحقيقة، واختر لنفسك في أي مما قلته لك. الله يعلم أنني إذا احتقرتُ خلاصي الشخصي، فكيف أمارس سلطاني عليك، وأنا خائفٌ من مخالفة الوصية؟

أما عن الأوساخ، فإذا أردتَ أن تغسلها فاغسلها بالدموع، لأنها تغسل تمامًا كل شائبة. فلماذا النوم؟

أصرخ ليسوع حتى يبحّ حلقك: «يا سيد، نجنا فإننا نهلك» {مت٨: ٢٥}. الهب ما تبقّى من قلبك، وأشعل النار التي جاء الرب ليُلقيها على الأرض {لو١٢: ٤٩}، وهي تلتهم كل ذلك، وتُخرِج الذهب المكنوز فيك، والذي امتُحِن في الأتون.

يجب أن يكون لك تيقُّظ كثير. وإنني لأكتفي بذلك، فاغفر لي.

أقوال القديس برصنوفيوس - كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - صفحة ٣٨١

تذكر الموت والنوح، غرباء نحن فلنكن غرباء بالكمال، ولا نحسب أنفسنا شيئا، ولا نشاء أن يحسبنا أحد فنتنيح، جاهد أن تموت في القبر من كل إنسان، وقل لفكرك لقد مت ووضعت في القبر وأنت تخلص،

وليس غلق الباب هو الموت بل على الفم. النوح الحقيقي المصحوب برقة المشاعر يمحو الآثام الماضية ويغسل الدنس.

📖 النوح غير الكامل يأتي ويذهب بحسب الفكرة {الغيرة} في الخلاص، حين تثور أو تموت، ولكن حينما تصبح الحرارة دائمة ذو رقة عظيمة، ودائمة المشاعر، وبالتبعية هذه تقوده إلى النوح الحقيقي، هذا هو النوح الذي ينبغي لكل واحد أن يحثه نفسه على اقتنائه.

📖 **سؤال:** أن كان كما قلت بالنوح يقتني الإنسان هذا، فاذا كنت ادخل واخرج وأهتم بالخدمة فكيف يمكنني أن أحفظ النوح وأخبرني أن كان نوح بلا دموع؟

📖 **الجواب:** ليس النوح بالدموع يكون، ولكن الدموع بالنوح تكون، والذي يكون بين الناس وإذ هو قطع هواه، ولم يلتفت إلى خطايا الناس، فقد اقتنى النوح لأنه من هذا تجمع افكاره وإذا هي ما اجتمعت ولدت في القلب الحزن في ذات الله والحزن يلد الدموع.

📖 النوح يغسل الخطايا، وبتعب كثير يصل الإنسان إليه، إذ لا يأتي البكاء إلا بكثرة الهذيذ وتذكر الموت، والدينونة المرهوبة، والعذاب الدهري، وأن تفكر في نفسك وتقطع هواك وتحمل الصليب.

{٥}

كتاب فردوس الآباء

📖 **قال أنبا مقار:** كما أن المطر إذا سقط على الأرض يجعلها تنبت وتأتي بثمار نياحًا لكل أحد، هكذا أيضًا الدموع إذا سقطت على القلب تثمر ثمارًا روحانية ونياحًا للنفس والجسد معًا.

وقال أيضًا: كما أن الماء المسلَّط على النار يطفئها ويغسل كل ما أكلته، هكذا أيضًا التوبة التي أعطاها لنا الرب يسوع المسيح تغسل جميع الخطايا والأوجاع {أهواء النفس} والشهوات التي للنفس والجسد معًا.

قال أنبا شيشوي بخصوص أنبا مقار:" ذهب مرةً أخ لزيارته فرأى القديس نعمة الله التي كانت تصاحبه وقال في نفسه: يا إلهي! كم أن دموع الإنسان التي يسكبها بسبب خطاياه تتفوق على جميع فضائله! وقال للأخ: صدّقني إذا علمتَ بالذي معك فلن تخاف من مواجهة أي شيء في العالم.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٢٥٤



سأل أخٌ أنبا بيمين قائلاً:

إنّ أفكاري تضايقني إذ تقول لي إنّ خطاياي قد غُفِرَت، وتجعلني أتركها وأشغل نفسي بزلاّت ونقائص أخي.

فأخبره الشيخ بالقصة الآتية عن أبّا ديوسقورس: إنه كان يبكي في قلايته على نفسه بينما كان تلميذه في قلايةٍ أخرى، وجاء إليه ووجده يبكي. فسأله: لماذا تبكي يا أبي؟ فأجابه: أبكي بسبب خطاياي.

فقال له تلميذه: إنك ليست لك خطايا يا أبي.

فأجاب الشيخ: بالحقيقة، يا ابني، لو أُعطيَ لي أن أري خطاياي، لما كان يكفي ثلاثة، أو أربعة رجال، يبكون معي لأجلها!

ثم قال أنبا بيمين: هكذا يكون الإنسان الذي يعرف نفسه.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٣٧ - ٤٣٨



سأل أخٌ أنبا موسى: ماذا يفعل الإنسان في التجربة التي تأتي عليه، والفكر الذي من العدو؟

📖 فأجابه الشيخ: عليه أن يبكي أمام نعمة الله لكي يُعينه، وبسرعة سيجد راحةً إذا قدّم توسلاته بمعرفةٍ، لأنه مكتوب: «الرب معينٌ لي فلا أخاف، ماذا يصنع بي الإنسان»؟! {مز١١٨: ٦، عب١٣: ٦}.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٩٨

📖 كان القديس يوحنا القصير جالسًا في الكنيسة يومًا ما، وحدث أنه تنهّد دون أن يدري وكان واحدٌ جالسًا خلفه، ولما لاحظ ذلك انطرح ساجدًا أمامه قائلاً:" اغفر لي يا أبي فإني لم أبدأ بعد.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٢٩

📖 **قيل عن أنبا ثيئوفيلس البطريرك إنه لما جاءت ساعة وفاته قال:**
📖 طوباك يا أنبا أرساني لأن هذه الساعة كانت دائمًا أمام عينيك ولأجلها كنت تبكي كل أيام حياتك.

📖 **وقيل عنه:** إنه كان على خدّيه تجويف، قد صار محفورًا بسبب الدموع التي كانت تُذرَف من عينيه في حياته كلها، حتى عندما كان يجلس في شغل يديه.

📖 **ولما سمع أنبا بيمين برقاده قال باكيًا:**
📖 حقًا إنك مغبوطٌ يا أنبا أرسانيوس لأنك بكيتَ على نفسك في هذا العالم، إنّ مَنْ لا يبكي على نفسه هنا فسيبكي هناك إلى الأبد.
📖 وهكذا يستحيل إلا يبكي الإنسان، أما باختياره هنا زمانًا قليلاً، أو عندما يضطره العذاب هناك.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٥٩

📖 **قال الأب هيبريشيوس:** الراهب الذي يسهر يجعل الليل نهارًا بمثابرته على الصلاة. وإذ يعصر قلبه يجعله يتفجّر بالدموع، ويستدعي مراحم السماء.
كتاب فردوس الآباء - القديس الأب هيبريشيوس - الجزء الثالث ١٦٦

📖 في ساعة الموت قال أنبا ثيئوفيلس رئيس الأساقفة: إنك مغبوطٌ يا أبّا أرسانيوس، لأن هذه الساعة كانت دائمًا في فكرك.
كتاب فردوس الآباء ـ البابا ثيئوفيلس البطريرك ـ الجزء الثالث ١٩٢

📖 ذهبنا إلى كانوب {أبوقير} التي تقع على بُعد نحو عشرة أميال من الإسكندرية، وتحدثنا مع الأب ثيئودور الناسك {تودري} الذي كانت له موهبة الحلم والصبر.
📖 وقد روى لنا أنّ أخًا كان يسكن في منطقة القلالي، قد اكتسب موهبة ملامة النفس والبكاء. وحدث يومًا ما أنه بلغ به وجع القلب حتى جاءه فيض من الدموع. فقال لنفسه: هذه بالتأكيد علامة على أن يوم موتي قد قرب. وكلما كان يفكر هكذا كانت الدموع تتضاعف أكثر، فقال أيضًا: هذا يؤكِّد أن وقتي قد اقترب، ومن يوم إلى يوم ظل يبكي أكثر فأكثر. وإذ انتفعنا كثيراً من رواية الشيخ سألناه بخصوص الدموع: لماذا، يا أبانا، تأتي الدموع تارةً من نفسها، وتارةً أخرى لا تأتي حتى مع الحزن؟
📖 فقال الشيخ: الدموع تشبه أمطار العاصفة والراهب هو الفلاح.
📖 فيجب عليه حالما يأتي المطر أن يحرص إلا يفقد شيئًا منه، بل أن يدخل كله في حديقته الصغيرة ويرويها.
📖 لأنني أقول لكم، يا أبنائي، إنه كثيراً ما يكون يوم واحد من المطر، أفضل من السنة بأكملها، فينقذ جميع الثمار.
📖 ولذلك فحالما نتحقق من مجيئه فلنجتهد، ونحرص، ونتفرغ للصلاة والتضرُّع لله بلجاجة، لأننا لا ندري إن كنا سنعثر على هذا المطر في يوم آخر.

📖 **ثم سألناه أيضًا:**
📖 وكيف يمكننا أن نحافظ على ملامة النفس والبكاء عندما تأتي؟

📖 فأجاب الشيخ: ليتنا لا نلتقي بإنسان في ذلك اليوم، أو في ذلك الوقت، ولنحترس من ملء البطن، ولنتيقظ لقلوبنا حتى لا تصوِّر لنا أن بكاءنا فضيلة فنتكبّر، ولنتفرغ للصلاة والتلاوة.

📖 ومن جهة أخرى، فعندما يأتينا الحزن يعلّمنا هو نفسه ما يقودنا إليه، وما يضرنا. ثم حكى لنا قائلاً: عرفتُ أخًا كان جالسًا في قلايته، ويعمل عمله العادي.

📖 ثم جاءته دموعه فجأةً، فنهض للصلاة، ولكن الدموع توقفت في الحال. فجلس ورجع إلى عمله، واستجمع روحه فجاءت دموعه في الحال. وأيضًا إذ كان يقرأ، فحالما شعر بملامة النفس نهض ولكنها توقفت على الفور. وبمجرد أن أخذ الكتاب رجعت الدموع.

📖 فقال الأخ حينئذ: صدق الآباء عندما قالوا إن النوح إنما هو معلِّم، لأنه هو نفسه يعلِّم الإنسان كل ما ينفعه.

كتاب فردوس الآباء -- القديس أنبا تادرس الإسكندري - الجزء الثالث ١٩٩ - ٢٠٠



📖 **قال شيخ:**

📖 كما نحمل ظلّنا معنا أينما ذهبنا، كذلك يجب أن تكون الدموع والندامة معنا في كل مكان، حسبما قيل: «أعوِّم كل ليلةٍ سريري، وبدموعي أبلّ فراشي» {مز٦: ٦ حسب الترجمة القبطية}.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٣٩٣

📖 **سأل أخ شيخًا:** ماذا يجب أن أفعل يا أبي؟

📖 فقال له الشيخ: جيدٌ أن نتنهّد وننوح دائمًا.

📖 لقد حدث أن أحد الشيوخ فارق الحياة، ثم بعد مدة {نحو ساعة} رجعت إليه روحه، فسأله الإخوة: ماذا رأيتَ هناك أيها الأب؟

📖 فقال بدموعٍ كثيرة: سمعتُ هناك صوت بكاء كثيرين كانوا يصرخون وينوحون بلا توقُّف قائلين: الويل لي، الويل لي! ولذلك علينا أن نقول مثلهم دائمًا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٣٩٣



📖 **قال شيخ:** تعب الجسد، وكثرة القراءة ينقيان العقل.

📖 والسكوت يجلب النوح، والنوح يجلب البكاء، والبكاء يُنقّي الإنسان من كل خطية.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٧٥

📖 **قال شيخ:** سبيلنا أن نتطهّر بالدموع ما دمنا في هذا العالم، قبل أن نمضي إلى حيث تكون دموعنا محرقة لأجسامنا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٧٤

📖 **سأل أخٌ شيخًا:** ماذا أصنع لكي أخلص؟

📖 فقال له: يجب أن تبكي دائمًا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٧٦

📖 **هذا هو المجاهد الصالح:**

📖 قيل عن أحد الرهبان إنه كان كل يوم يبكي بسبب خطاياه، وكان له جارٌ يسمعه. وإذا لم يأته البكاء كان يقول لنفسه:

📖 لماذا لا تبكي يا شقي؟ لماذا لا تنوح يا مسكين؟

📖 حقًا إنك إن لم تبك هنا طائعًا، فستبكي هناك مكرهًا.

📖 وكان قد صنع لنفسه حبلاً غليظًا، يضرب به نفسه لكي يبكي.

📖 فتعجب جاره وطلب من الله أن يكشف له إن كان من الصواب أنه يعذِّب نفسه. ثم رآه وهو واقفٌ مع جماعة الشهداء. وقال له إنسان: هذا هو المجاهد الصالح، الذي يعذِّب نفسه من أجل المسيح.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٧٦

📖 **سأل أخٌ شيخًا:** ماذا يفعل الإنسان في كل بليّة تأتي عليه؟

📖 فأجاب: ينبغي أن يبكي قدام الله، ويطلب منه أن يُعينه حسب المكتوب: «الرب عوني فلا أخشى، ماذا يصنع بي الإنسان» {مز١١٨: ٦}.

📖 **قال أحد الشيوخ:** إن كان الراهب حريصًا مجاهدًا، فإن الله يطلب منه إلا يرتبط بشيء من أمور هذه الدنيا، لئلاّ يُشغله ذلك عن ذكر ربه. وأن يطلب إليه بلجاجة وبكاء ليغفر له خطاياه.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥١٨

📖 **قال شيخ:** كل مَنْ يحاربه إبليس وجنوده بالقتال، وهو لذلك ينوح ويبكي ساهرًا، ويطلب معونةً {من الله} فهو يُستجاب.

📖 لأن السهر يحل الخطية، والبكاء يغسل الذنوب.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٢٢

📖 **قال أخٌ لشيخ:**

📖 إذا بذر فيَّ الشياطين فكرًا نجسًا، أو أيّة غواية بالليل، يمنعونني بعد ذلك من أن أصلّي قائلين: "إنك نجس"!

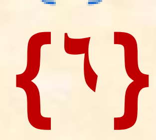
📖 فقال له الشيخ: إذا وضعت الأُمّ الطفل على الأرض متمرّغًا في وساخته، يرفع يديه ووجهه إليها وعيناه ممتلئتان بالدموع، فتتحنن أُمّه عليه وتضمّه إليها، وتُصعده على صدرها وتقبِّله، ولا تنظر إلى شيء من وساخته. هكذا نحن يا أخي، إذا أغوتنا الشياطين، فلنسرع ونصرخ إلى الله، ونبكي بين يديه، وهو يقبلنا من وسط نجاستنا، ويطهرنا له مرةً أخرى.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٢٣

📖 **قال شيخ:** إن كان إنسان يجرّبه إبليس بأوجاع الخطية، وهو يبكي وينوح بسبب ذلك بين يدي الله، فإن الله يشتاق إليه.

📖 لأن التنهُّد قادر أن يحلّ الخطية، والبكاء يغسل الذنوب.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٢٣



القديس الأنبا أنطونيوس

سأل أخٌ القديس أنطونيوس:

ماذا يجب عليَّ أن أفعله بخصوص خطاياي؟

فأجابه: الذي يريد أن يكون حرًّا من الخطايا، يمكنه ذلك بواسطة التأوُّهات والدموع، والذي يريد أن ينمو في بناء نفسه بالفضائل، يمكنه ذلك بواسطة النحيب والدموع، كما أن التسبيح بالمزامير هو نفسه أنين. تذكّر مثال حزقيا ملك يهوذا كما هو مكتوبٌ في إشعياء النبي أنه لما بكى لم يستردّ صحته فحسب، بل استحق أيضًا أن يزيد عمره مدة ١٥ سنة، وبواسطة سيل دموعه سلَّمت قوة الرب العدو المسلَّح الذي جاء عليه بمائة وخمسة وثمانين ألف رجل إلى الموت.

والرسول القديس بطرس ببكائه استعاد ما فقده بإنكاره للمسيح. ومريم بعد أن بلَّت بدموعها قدمي الرب استحقت أن تسمع قول الرب إنها اختارت النصيب الصالح. هذه هي مخافة الرب المقدسة التي تدوم إلى أجيال الأجيال"

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٨٥



وقال أيضًا:

يا أولادي، يجب على كل واحدٍ منا أن يشقّ قلبه لا ثيابه ويبكي قائلاً: ما الذي أصنعه لله عوضًا عن الخيرات التي صنعها معنا؟! إنني لخائفٌ أيها الأبناء لئلاّ يكمل علينا القول المكتوب: "ما المنفعة من صومي إذا هبطتُ إلى الجحيم"؟!

بحق، يا أبنائي، إني أتكلم معكم كمثل من يكلِّم الحكماء، فاسمعوا وافهموا الذي أقوله لكم: ليرفض كل واحدٍ منكم ويبغض ما قد صار معه كطبيعةٍ ناطقةٍ، أعني الهيولي {الجسداني} وكل أعماله من كل قلبه، ويبسط يديه ويرفع عقله إلى الله، فإنه عند ذلك يتحنّن على تعبه ويهب له النار غير المنظورة، ويحرق كل الأدناس التي فيه ويطهِّر عقله، وحينئذ يسكنه الروح القدس ويصير يسوع حالاًّ فيه حتى

يستطيع أن يسجد للآب كما ينبغي. فإن كنا لا زلنا متفقين مع أنواع الهيوليات {الجسدانيات} فنحن أعداء لله وملائكته وكل قديسيه.

📖 وأنا أسألكم باسم ربنا يسوع المسيح أن تتركوا عنكم كل أمور التهاون في حياتكم الزمنية هذه، ولا تدَعوا هذا الزمان القليل ينزع منكم تلك الدهور التي لا تُحدّ، ولا تدَعوا الظلمة تنزع منكم نور الملكوت الذي لا يُنطَق به.

📖 بحق أيها الأبناء، إنّ نفسي لَمضطربة وعقلي مبلبل، إذ نحن غارقون كلنا في اللذّات كمثل واحدٍ سكران من الخمر، وكل واحدٍ منا يسلك حسب هواه الذي قد تسلَّط عليه، ولا نشاء أن نرفع أعيننا إلى السماء ونطلب مجد الله وفعل الأطهار ونتبع إثر خطواتهم لكي نستحق الملكوت.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٨٥ ـ ٨٦

{٧}

الأنبا بيمن المتوحد

📖 **البكاء بسبب الخطايا:**

📖 لما سمع أنبا بيمين أن أنبا أرسانيوس رقد، وذهب إلى راحته قال: مباركٌ أنت يا أبّا أرسانيوس، لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم، لأن الذي لا يبكي على نفسه في هذا العالم، لا بدّ سيبكي إلى الأبد في الدهر الآتي. فليبكِ هنا باختياره، أو هناك في عقابه الأبدي.

📖 إنه يستحيل على إنسان أن يهرب من البكاء، أما هنا أو هناك.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٧٠

📖 **سأل أخٌ أنبا بيمين قائلاً:** ماذا أفعل فإنّ أفكاري تقلقني وتقول لي: إنّ خطاياك قد غُفِرت وتشُدّني نحو نقائص الإخوة.

📖 حينئذ حدَّثه أنبا بيمين عن أنبا ايسيذورس، الذي كان في قلايته يبكي على نفسه، وأن تلميذه الذي كان يسكن في قلاية أخرى، جاء إليه ووجده يبكي وقال له: لماذا تبكي يا أبي؟

📖 فقال له الشيخ: أبكي بسبب خطاياي.

📖 فقال له التلميذ: وهل أنت عندك خطايا يا أبي؟

📖 فقال له الشيخ: بالتأكيد يا ابني، وإذا سُمِح لي أن أري خطاياي فلا يكفي أن يبكي معي بسببها ثلاثة، أو حتى أربعة أشخاص.

📖 ثم قال أنبا بيمين: هكذا الحال مع الذي يعرف نفسه.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٧٠



📖 **روى أبّا يوسف أنّ أبّا إسحق قال:** كنتُ مرةً جالسًا مع الأب بيمين، ورأيتُ أنه في حالة ذهول، ولما كانت لي حرّيّة في الحديث معه، طرحتُ نفسي أمامه، وتوسلتُ إليه قائلاً: أخبرني أين كان عقلك. فوجد نفسه مضطرًا أن يجيب وقال: كان فكري مع القديسة مريم والدة الإلهـ وهي تبكي عند صليب مخلِّصنا، وأنا أريد أن أتمكَّن من البكاء دائمًا مثلها.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٧٠



📖 ذهب مرةً أنبا بيمين إلى مصر {القاهرة الآن}، فرأى في طريقه امرأةً جالسةً في قبر وهي تبكي بمرارةٍ.

📖 فقال للذين معه: لو جاءوا بكل مسرّات العالم لهذه المرأة، لما استطاعوا أن ينزعوا منها حزن نفسها.

📖 وهكذا أيضًا الراهب ينبغي أن يكون حزنه وندمه دائمًا في داخله.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٧١

📖 ذهب أنبا بيمين يومًا ما مع أنبا أنوب {أخاه بالجسد} إلى مقاطعة "ديولكوس" {بحيرة المنزلة الآن}.

📖 ولما وصلا إلى المقابر رأوا امرأةً في حزنٍ شديدٍ، وهي تبكي بمرارةٍ، فوقفا هناك يلاحظانها، ولما ابتعدا قليلاً قابلا رجلاً فسأله أنبا بيمين: ما هو الذي تبكي من أجله هذه المرأة هكذا بمرارة؟

📖 فقال: لأنّ زوجها وابنها وأخاها قد ماتوا.

📖 فقال أنبا بيمين لأخيه: أقول لك إنه إذا لم يُمِت الإنسان كل شهواته الجسدية، ويحصل على حزنٍ مثل هذا، لا يمكنه أن يصير راهبًا.

📖 حقًا لقد تحوَّلت حياة هذه المرأة كلها إلى حزن.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٧١

📖 **سأل أخٌ أنبا بيمين:** ماذا أفعل بخصوص خطاياي؟

📖 فقال له الشيخ: عندما دخل إبراهيم أرض الموعد اشترى لنفسه قبرًا، وبواسطة هذا القبر ورث هو ونسله الأرض كلها.

📖 فسأله الأخ: ما هو القبر؟

📖 فقال الشيخ: هو مكان الدموع والندامة، فالذي يتخذ له بيتًا لموته عن هذا العالم، ويحزن فيه على نفسه، يرث أرض الحياة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٧١

📖 **وسأله أخٌ آخر عما يفعله بخصوص خطاياه:**

📖 فقال له الشيخ: مَنْ أراد أن يتنقّى من خطاياه يفعل ذلك بالبكاء.

📖 ومن أراد أن يكتسب الفضائل، يمكنه ذلك بالبكاء.

📖 لأنّ البكاء هو الطريق الذي علّمه لنا الكتاب المقدس. كما أن الآباء كانوا يبكون باستمرار، ولا يوجد طريق آخر سوى ذرف الدموع.

📖 **وسأله أخٌ ثالث نفس السؤال:**

📖 فقال له الشيخ: ابكِ في داخلك، لأن التحرُّر من الخطايا، واكتساب الفضائل كل منهما، يكون بالحزن والندامة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٧١

📖 **وقال أيضًا:**

📖 البكاء هو الطريق الذي سلّمه لنا الكتاب المقدس وآباؤنا.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٧١

📖 **سأل أخٌ الأب بيمين:** قل لي كلمةً أحيا بها.

📖 فقال له الشيخ: أول شيء سلّمه لنا الآباء هو أن ننوح.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٧١

📖 **وسأله أخٌ آخر:**

📖 ماذا ينبغي أن أفعل بخصوص كل الاضطرابات التي تزعجني

📖 فقال له الشيخ: فلنبكِ في كل شدائدنا، في حضرة صلاح الله، حتى يُظهر لنا رحمته.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٧٢

📖 **سألو شيخاً:** ما معنى قول أنبا بيمين: إنّ الحزن له فائدة مضاعفة في حفظ الأعمال؟ فأجاب الشيخ: إنّ ذهن الحزين ينبِّهه، ويُنشِّطه لعمل الفضائل. كما أنه بالحزن يفكِّر كل يومٍ، كيف يتحفَّظ، ويحترس، لئلا يهلك من التواني والرخاوة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٢٤

📖 **مضي أنبا بيمن:** في بعض الأوقات قاصداً مصر، فنظر امرأة جالسة على قبر تبكي بكاء مراً.

📖 فقال لمن كان معه: "لو جيء لهذه المرأة بكل مرطبات العالم، وكل الملاهي، لما انتقلت عما هي عليه من الحزن، وهكذا يجب على الراهب أن يكون حزنه دائماً أبداً".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٨

{٨}

كتاب حياة الصلاة

📖 ما هي العلامات الصادقة غير المشكوك فيها التي تدل على أن الأعمال ابتدأت تخرج ثمارها الخفية داخل النفس؟ هي أن يصبح الإنسان مستحقا لموهبة الدموع، تفيض من عينيه بغزارة، وبلا تغضب.

📖 فالدموع هي الحد الفاصل بين حالة السلوك بالجسد، والسلوك بالروح، أي حالة التلذذ بشهوات العالم، وحالة الطهارة والعفة.

📖 وطالما أن الإنسان لم ينل هذه العطية، فجهاد خدمته لا زال في الإنسان الخارجي، وهو إلى حد ما لم يتذوق بعد فاعلية عمل الروح في الإنسان الحنفي.

📖 وحينما يتقدم الإنسان في الطريق الروحي، بعيدا عن ماديات هذا العالم ومسراته الزائلة، ليتخطى حدود هذه الطبيعة المنظورة، فحينئذ يدخل في حيز عمل النعمة، حيث تقوده موهبة الدموع في الحال إلى كمال حب الله، فإذا ما وصل إلى هذا الميناء السعيد، تصير له الدموع غزيرة حتى أنها تختلط بطعامه وشرابه، على الدوام بكثرة.

📖 هذه هي علامة صادقة أن العقل تعرى من هذا العالم.

📖 ولكن على قدر ما يقترب مرة أخرى من هذا العالم، على قدر ما تشح دموعه في الحال، حتى إذا ما استقر فكره في الأمور العالمية، تجف دموعه وتنتهي، وهذه علامة أنه قد صار في يد العالم وشهواته. الدموع الدائمة أثناء الصلاة، علامة على الرحمة الإلهية، التي وهبت للنفس كنتيجة لقبول توبتها.

📖 بهذه الدموع تؤهل النفس للدخول في نور صفاء الأبدية.

📖 توجد دموع تحرق وتلهب، وأخرى تبهج وتزهر.

📖 فالتي تنحدر من القلب، بإنكسار من أجل الخطايا، فإنها تيبس وتحرق تنعمات الجسد! ويحس الإنسان بألم عند انحدارها من عينيه.

📖 ولكن هذه الدموع المحرقة، تفتح الباب للدخول في الرتبة الثانية، للدخول في أرض المسرة، التي فيها يقبل الإنسان الرحمة، حيث الدموع الحلوة الرقيقة، التي تزين وتبهج الجسد والنفس، التي تنبع من ذاتها، بلا انقطاع دون تغضب. طوبى للباكين من أجل الحق، لأنه من خلال دموعهم يرون باستمرار وجه الله.

مار إسحق السرياني

📖 الدموع أثناء الصلاة هي علامة الحياة الطيبة، هي موهبة كبيرة، إسألوا هذه النعمة من الله، أسكبوا أمامه الدموع لتصير صلاتكم كالبخور قدامه.

📖 مجاري المياه لوقت الحريق، ومجاري الدموع في زمن التجربة.

📖 الماء يخمد لهيب النار، والدموع تطفئ شهوة الشر!

مار إفرام السرياني

📖 حينما تفيض منك الدموع أثناء الصلاة، لا تستكبر في ذاتك، كأنما قد صرت أعلى من الآخرين، ولكن اعلم أن الصلاة هي التي وهبتك هذه الدموع، لتمهد لك طريق الاعتراف بإشتياق، وتحنن قلب القدير عليك! ولكن حذار أن تجعل الدموع شهوتك، لأنها قد وضعت لتكون ضد الشهوات، فلا تشتهيها في ذاتها لئلا تغضب معطيها!!!

📖 كثيرون قد نسوا الغرض الذي من أجله قدموا دموعهم، فتكبروا وانحرفوا عن طريق الحق، الذي ابتدأوا به، وعاشوا في كبريائهم.

نيلوس السينائي

📖 قد جمع الآباء القديسون كل نشاط الراهب في كلمة «حياة البكاء»، حينما يسكن الروح القدس في إنسان، فإنه يشفع فيه بأنات لا ينطق بها {رو٢٩: ٨}. وما معنى «أنات» إلا تنهدات البكاء من أجلنا!!

📖 كم بالحري يجب أن نبكي نحن على أنفسنا، فنصير أهلا لحلول ذلك الزائر العظيم! يجب أن يصير البكاء لازما من لوازم صلاتنا، ورفيقا دائمة مدى الحياة، حتى نهاية الطريق.

📖 كل من يقرن الصلاة بالدموع، فقد جنى أول ثمارها، واستحق قبول بقية ثمارها. أما من عدم البكاء في الصلاة، فقد عدم ثمارها أيضاً.

الأسقف أغناطيوس {ب}

📖 إن العيون التي أفاضت دموع الرحمة والشفقة، قد استأهلت أن تشرق عليها شمس البر، لتضيء لها الحياة.

الأب صار وفيم {ص}

📖 من الدموع ما يعصر عصر، حينما تكون العيون جافة، والقلب قاسيا، ولكن بالرغم من ذلك فمثل هذه الدموع، لن تسقط بلا ثمرة، فهي وإن كانت شحيحة، إلا أنها تدل على نية القلب، للاغتسال من دنس الماضي، وزلل الحاضر.

📖 ولكن من المؤكد أن الدموع لا تذرف بتغصب، أو تعب، عند الذين أدركوا محبة الحق، والسير بالطهارة.

📖 لا تغصب نفسك على الدموع، فهي لا تأتي بالعنف، لئلا تسوقك إلى صغر النفس من كثرة المحاولات الفاشلة.

📖 ارفع عقلك في الصلاة، واتركه ينبسط بحرية الإرادة، ليحلق في السماء، وترفع عن الدموع، العواقر التي بالتغصب.

الأب يوحنا كاسيان

📖 اجتهد للسير في الطريق الضيق، لتدخل مدينة السلام، أورشليم المهيأة كعروس لعريسها!

📖 ولكن الطريق إليها تعوزه دموع تذرف ليلا ونهارا.

📖 «كل ليلة أعوم سريري، بدموعي أبل فراشي!!» {مز ٦: ٦}.

📖 «صارت لي دموعي خبز نهار ولي!!» {مز ٣: ٤٧}، «قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بدموعي!!» {مز ٩: ١٠٢}، يا رب «لا تسكت عن دموعي لأني غريب عندك!» {مز ١٢: ٣٩}، يا رب «اجعل دموعي في زق عندك، أما هي في سفرك» {مز ٨: ٥٧}.

📖 إن الدموع التي تذرف من شدة البلية، في وقت الحزن، مع التهاب الأحشاء، والتطلع لمعرفة الحق، تكون غذاء للنفس لشفائها، كما اعتدت مريم منذ القديم، عندما بكت حتى بللت أقدام السيد بالدموع، فغفر لها خطاياها الكثيرة، لأنها أظهرت حبا كثيرة.

📖 إيه أيتها اللآلئ الثمينة، المنحدرة من العيون الباكية!، لقد حنت قلب السيد، حتى فاض بالرحمة علي.

📖 وكما كان للنفس النادمة الحزينة، لهفة نحو العريس الطاهر، كذلك تأجج قلب العريس بالحب المفرز نحو عروسه المتطهرة!!!

📖 يا للشركة العجيبة التي ربطت العريس بعروسه!

أبا مكاريوس الكبير

📖 إن كانت المعمودية قد طهرتنا من الخطية المتوارثة فينا من آدم، فالدموع هي تجديد لقوة تطهير المعمودية، لغسل الخطايا التي عملناها في أنفسنا. المعمودية التي أخذناها أطفالا قد دنسناها كلنا؟ والعين الباكية هي جرن دائم لمعمودية التوبة والتجديد.

📖 لو لم يهبنا الله نعمة الدموع، لتعذر خلاص الكثيرين.

📖 من اقتنى الدموع النابعة من العين النفسية الداخلية، فقد ضبط النوح، وأحكم استعمالاته!، أما من تعود البكاء بالعين الظاهرة فقط، فعليه إلا يهدأ حتى يعبر إلى معرفة أصول الدموع ومناقبها!

📖 الكنز المستور يصعب سرقته، أما الظاهر فهو عرضة للسلب والنهب، هكذا الدموع، فالبكاء في الخفاء يبق ويدوم، أما الظاهر فعرضة للضياع.



📖 كل من يغصب نفسه على الدموع بغير معرفة، وبغير همة، وعمل وتوبة وندامة، فهو يقدم تقدمة جسدية فحسب.

📖 يا حبيبي تذكر نومة القبر حينما تأوي إلى فراشك!

📖 تذكر الدود الذي سيولم وليمة على جسدك، حينما تتقدم إلى طعامك! فنم قليلا، وكل قليلا، واغصب على كل حال طبيعتك.

📖 وابك بمشيئتك، بدل أن تبكي بغير مشيئتك.

📖 رأيت عيون بالوجع تبكي، وتذرف الدمع بالتعب.

📖 ورأيت عيون تنهمر منها بلا كيل، فطوبت الأولى، وغبطت الثانية.

📖 الجدل في الأمور اللاهوتية لا يلائم النائحين، لأنه يبطل الدموع ويحل النوح!!!، لأنه يليق بالجالسين على كراسي التعليم جلوس المعلمين، أما النوح فهو يلائم الجالسين على التراب، اللابسين المسوح؟، ليس من بكى على ما شاء قد وصل إلى البكاء، وإنما الباكي حقا هو من بكي بمشيئة، الذي اقتنى الدموع قد بغض حياته، وهجر جسده، كما يهجر الإنسان عدوا له، وصار يشتاق إلى البكاء كإشتياق العطشان إلى الماء البارد.

📖 لا تصدق يا أخي دموعك، قبل أن تبلغ حد الطهارة الكاملة.

📖 ليس للمسجونين سرور في سجنهم، وليس للراهب الحقيقي عيد على الأرض، لأن عيده في دموعه وسروره في بكائه!!

📖 من لبس النوح السعيد كمنطقة على حقويه فقد كتب لنفسه الفرح الدائم مع القديسين في الحياة الأبدية. قد رأيت كثيرين من الفقراء والمساكين الخالين من الفضائل، اغتصبوا ملكوت السماوات بكثرة بكائهم، وصيامهم أمام الله!!

📖 من أفتخر بدموعه وبكائه، وأزدري بالآخرين لعدم بكائهم، يشبه إنسان التمس من الملك سلاحا ليقتل به عدوه، فقتل به نفسه!!

📖 يا أحبائي، الله لا يسر ببكائنا، ووجع قلبنا، بل هو يريد أن نفرح معه دائما، ولا أحد ينزع فرحنا منا.

📖 فهو لم يخلق آدم باكيا، ولا جعل البكاء من طبيعتنا بعد القيامة، وإنما طوب الباكين الآن، لأن البكاء يغسل جرح الخطية ويجففه!!

📖 الدموع للجاهل توقعه في الصلف والكبرياء، لهذا لا تعطى للجهال.

📖 تضحك الشياطين حينما ترى إنسانا متكبر يبكي، لأن البكاء يزيده تكبرا على تكبره!، إن النفس وقت خروجها من العالم، لا تجد ما يعزها ويشجعها، إلا ما قدمته من التوبة والدموع! أما هؤلاء السعداء الذين استعدوا لهذه الساعة، وبكوا من أجلها بغير فتور، لا تجدهم يرفعون صوتهم، أو يشتغلون بالألحان قط.

📖 وأنت إذا ظننت أنك تستدعي النوح باللحن، فقد أبعدت النوح عنك.

📖 رأيت دموعا كاذبة يسوقها الشيطان، للذين تركوا دياراتهم، وآثروا السكني في العالم، حتى يوهمهم أنه ليس من ضرر في إقامتهم بين الناس!

الأب يوحنا الدرجي

كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية ـ البـــاب الثاني ـ نواحي النشاط الداخلي الصّلاة ـ الفصـل التاسع: الدموع ـ صفحة ٤٥٦ ـ ٤٥٩

{٩}

القديس أنبا مكاريوس

📖 **حالتنا في الإنسان العتيق:**

📖 لذلك، فاذا أردنا أن نعرف لماذا نحن الذين قد خلقنا في كرامة، ووضعنا لنحيا في الفردوس، صرنا بعد ذلك "مثل البهائم التي لا تفهم وشبهنا بها" {مز ٤٩: ١٢ و٢٠}.

📖 إذ قد سقطنا من المجد الأصلي، فأعرف أننا بواسطة التعدي، صرنا عبيداً للأهواء الجسدية. لقد أخرجنا أنفسنا من "أرض الأحياء

المغبوطة" {مز ١١٦: ٩} وسرنا إلى الأسر حيث لا نزال "جالسين على أنهار بابل" {مز ١٣٧: ١}.

📖 ولأننا لا نزال محبوسين في "مصر"، لذلك فإننا لم نرث بعد أرض المواعد، "التي تفيض لبناً وعسلاً" {خر ٣: ٨}.

📖 إننا لم نتخمر بعد "بخمير الإخلاص" {١كو ٥: ٨}.

📖 ولكننا لا نزال في "خميرة الشر".

📖 أن قلبنا لم يرش بعد بدم الله، لأن "فخ جهنم" {أم ٩: ١٨ السبعينية}.

📖 وصنارة الخطية لا تزال منصوبة فيه.

📖 ٤- أننا إلى الآن لم نقبل بهجة خلاص المسيح، لأن "شوكة الموت" {كو ١٥: ٥٥} لا تزال جذورها فينا.

📖 إننا لم نلبس بعد "الإنسان الجديد، المخلوق بحسب الله في القداسة" {أف ٥: ٢٤}، لأننا لم نخلع بعد "الإنسان العتيق الفاسد، بحسب شهوات الخطية" {أف ٤: ٢٢}.

📖 إننا لم نحمل بعد "صورة السماوي" {١كو ١٥: ٤٩}.

📖 ولم نصر "مشابهين لصورة مجده" {في ٣: ٢١}.

📖 إننا لم نعبد الله "بالروح والحق" {يو ٤: ٢٤} لأن "الخطية تملك في جسدنا المائت" {رو ٦: ١٢}.

📖 إننا لم نر بعد "مجد الله الذي لا يفنى" {رو ١: ٢٣} لأننا لا نزال تحت سطوة "الليل المظلم" {مز ٢: ١١}.

📖 والى الآن لم "نلبس أسلحة النور" {رو ١٣: ١٢} لأننا لم نلق عنا سلاح الظلمة، وسهامها، وأعمالها. نحن "لم نتغير بعد عن شكلنا بتجديد أذهاننا"، لأننا لا نزال "مشاكلين، ومطابقين لهذا العالم" {رو ١٢: ٢}، "في الذهن الباطل" {أف ٤: ١٧}.

📖 إننا لم "نتمجد بعد مع المسيح"، لأننا لم نتألم بعد معه" {رو ٨: ١٧}.

📖 إننا لا "نحمل سماته بعد في جسدنا" {غل ٦: ١٧} لأننا لا نحيا في سر صليب المسيح، لأننا لا نزال في "أهواء وشهوات الجسد" {غل ٥: ٢٤}.

📖 إننا لم نصر بعد "ورثة الله، ووارثون مع المسيح" {رو ٨: ٧}، لأن "روح العبودية" لا يزال فينا، وليس "روح التبني" {رو ٨: ٨-١٥}.

📖 وحتى الآن لم "نصر هيكل الله ومسكناً للروح القدس" {١كو ٣: ١٦}، لأننا لا نزال هيكلاً للأصنام، ومستودعاً لأرواح الشر، بسبب تعلقنا بالشهوات.

📖 **٥-** وفي الحقيقة إننا إلى الآن لم نحصل على بساطة السيرة واستنارة العقل. والى الآن لم نحسب أهلاً لنوال "اللبن العقلي العديم الغش" {١بط ٢: ٢}، والنمو الروحي غير المنظور.

📖 والى الآن لم ينفجر النهار ولم يطلع كوكب الصبح في قلوبنا" {٢بط ١: ١٩}. "إننا لم نمتزج بشمس البر" {ملا ٤: ٢}، ولا ابتدأنا أن نضيء بأشعته. إننا لم نقبل بعد "شبه الرب" {تك ١: ٢٦}.

📖 ولا صرنا "مشاركين للطبيعة الإلهية" {٢بط ١: ٤}.

📖 والى الآن لم نصر ذلك الأرجوان الملوكي الحقيقي، ولا صرنا صورة الله الحقيقية. إننا لم نسبي بعد بالحب الإلهي، ولا انجرحنا بمحبة العريس الروحانية.

📖 إننا لم نعرف بعد تلك الشركة السرية، التي تفوق الوصف.

📖 ولم نعرف القوة والسلام الموجودان في القداسة.

📖 وبكلمة واحدة فإننا لسنا بعد "جنساً مختاراً، كهنوتاً ملوكياً، أمة مقدسة، شعب اقتناء" {١بط ٢: ٩}، لأننا لا نزال إلى الآن "حيات وأولاد أفاعي" {مت ٢٣: ٣٣}.

📖 **أنوح وأبكي أمام الله على شقاوتنا:**

📖 **٦-** وكيف نكون سوى حيات، ونحن لا نطيع الله.

📖 بل نعيش في العصيان الذي دخل إلينا بواسطة الحية.
📖 وأنا لا أستطيع أن أعرف كيف أبكي، وأنوح على شقاوتنا، هذه كما تستحق. ولا أعرف كيف أصرخ بصوت عال باكياً أمام الله، الذي يستطيع وحده أن ينزع مني الخطأ المزروع فيَّ.

📖 كيف أنوح على أورشليم؟
📖 وكيف أهرب من عبودية فرعون القاسية؟
📖 وكيف أهجر مكان الإقامة الدنس؟
📖 وكيف أستطيع أن أنكر، أو أجمد الطغيان المر؟
📖 وكيف أستطيع أن أخرج من أرض مصر؟
📖 وكيف أستطيع أن اعبر البحر الأحمر؟
📖 وأسير في وسط البرية الكبرى؟
📖 وكيف أنجو من الهلاك بلدغة الحيات؟
📖 وكيف أهزم الغرباء؟
📖 وكيف أحكم الأمم الذين في داخلي تماماً {يقصد الأهواء الشريرة}.
📖 وكيف أتقبل أقوال الشريعة الإلهية على ألواح قلبي؟
📖 وكيف أري عمود النور الحقيقي، والسحاب الناشئ من الروح القدس؟ وكيف أتنعم بالبهجة الأبدية؟
📖 وكيف أشرب الماء من الصخرة المعطية الحياة؟
📖 كيف أعبر الأردن، وادخل إلى أرض الموعد الجيدة؟
📖 وكيف أعاين رئيس جند الرب، الذي حينما رآه يشوع بن نون، خر في الحال ساجداً؟

📖 ضرورة العبور والدخول إلى الراحة:

📖 **٧-** لأنني أن لم أعبر بكل هذه، وأحطم الأمم الذين يعيشون في داخلي، فإنني لن أستطيع أن أدخل إلى "أقداس الله" وأستريح {مز ٧٣: ١٧}. "ولا أن أصير شريكاً في مجد الملك".

📖 لذلك أسع بكل اجتهاد، لتكون ابناً لله بلا لوم، وان "تدخل إلى تلك الراحة" {عب ٤: ١١}، حيث "دخل المسيح كسابق لأجلنا" {عب ٦: ٢٠}. اجتهد أن يكون اسمك مكتوباً في "الكنيسة التي في السماء مع الأبكار" {عب ١٢: ٢٣}، لكي توجد عن "يمين العظمة في الأعالي" {عب ١: ٣}.

📖 أسع أن تدخل إلى المدينة المقدسة، اورشليم مدينة السلام، التي هي فوق، فوق الكل، حيث يوجد الفردوس.

📖 فلا يوجد أمامك طريق آخر للدخول إلى هذه الأحوال العجيبة السعيدة، سوى أن تسكب الدموع نهاراً وليلاً، مثل ذلك الذي قال "كل ليلة أعوم سريري وبدموعي أبل فراشي" {مز ٦: ٦}.

📖 وأنت تعرف جيداً أن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج" {مز ١٢٦: ٦}، لهذا السبب فان النبي يقول بكل صراحة "لا تسكت عن دموعي" {مز ٣٩: ١٢}.

📖 وأيضاً: "اجعل دموعي أمام عينك كما وعدت" {مز ٥٦: ٨}.

📖 وأيضاً: "دموعي صارت لي خبزاً نهاراً وليلاً" {مز ٤٢: ٣}.

📖 وفي مزمور آخر: "مزجت شرابي بدموعي" {مز ١٠٢: ٩}.

📖 قوة الدموع:

📖 ٨- لأن الدموع التي تسكب حقاً من حزن كثير، وكآبة قلب، وبمعرفة للحق، واحتراق في الداخل، إنما هي طعام للنفس، يأتيها من الخبز السماوي، الذي سبقت مريم وأخذت منه، حينما جلست عند قدمي الرب، وبكت بحسب ما شهد لها المخلص نفسه، فانه قال: "لقد اختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها" {لو ١٠: ٤٢}.

📖 فما أثمن تلك الدرر، التي تتساقط مع انسكاب وفيض الدموع المغبوطة! ويا لتلك الاستجابة الفورية، والإنصات المستمر!

واي عقل قوي حكيم! ويا لشدة روح الرب، التي تتحرك بقوة نحو العروس الذي بلا عيب!

وأي رغبة شديدة، وشوق في النفس إلى الله الكلمة!

وأي شركة حميمة للعروس مع العريس السماوي!

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة الخامسة والعشرون ـ صفحة ١٨٣ ـ ١٨٨



وقال القديس مكاريوس:

كما أنه إذا سقط المطر على الأرض نبتت وأنتجت الثمار، وفي ذلك راحة وفرح للناس، كذلك الدموع إذا ما وقعت على قلب، أثمرت ثماراً روحانية، وراحة للنفس والجسد معاً.

لنبك أيها الأخوة ولتسل دموعنا من أعيننا قبل إن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع. ولما قال هذا بكى وبكى الكل معه وخروا على وجوههم قائلين. أيها الأب صل من أجلنا.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٣



{٩}

قديسون أخرون

عن ألم النوح:

إذا كان النوح من أجل أمور عالمية، فهو جسداني. وإذا كان على الذنوب والزلات، فيكون الضمير قد رجع إلى رجائه.

وإذا كان من أجل اتضاع الإنسان الخفي، فهو فضيلة المعرفة.

كتاب الآباء الحاذقون في العبادة ـ الجزء الثاني ـ القديس يوحنا السيوطي ـ صفحة ٨٣

سئل: ما هو الحزن الذي نحزنه، حتى نستحق الطوبى الإنجيلية.

فأجاب: هو الحزن في ذات اللّه وقد تقدم شرحه وهو: إذا ما حزنا على خطايا صنعناها. أو على الذين يهينون اللّه بخطاياهم، لأنه

مكتوب: "إنك بمخالفتك تهين الله". أو من أجل الذين يريدون أن يموتوا بخطاياهم، لأنه يقول: "النفس التي تخطئ هي تموت".

📖 وهكذا نتشبه بالقائل إني أنوح على الذين أخطأوا من القديم.

📖 وإذا صنعنا هكذا اقتنينا هذه الطوبى.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثاني - صفحة ٢٩٢

📖 ١٠٨- بدون ممارسة البكاء، يستحيل احتمال مرجل الصمت، الذي هو في درجة الغليان، إن كل من يبكي، ويفكر في الأهوال التي تسبق وتعقب الموت، قبل أن تحدث فعلا، لا يسعه إلا أن يستسلم للصبر، والاتضاع، الذين هما حجرا أساس الصمت، وبدونهما أي إنسان يسلك طريق الصمت، يصاحبه الغرور، والإهمال، كرفيقين له، يضاعفان أسر وجولان أفكاره، أكثر من أي وقت آخر نتيجة لضعفه.

📖 ومن هذا الضعف، يتعاقب الإهمال، والإفراط، اللذان يجعلان الجسم فاتر الهمة ضعيفا، والعقل مظلما صلبا، حينئذ يختفي يسوع في زحام الأفكار، والأحلام التي تحتشد في سوق العقل.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - القديس غريغوريوس السينائي – صفحة ٧٩

📖 **٣٦-** الأفكار الملتهبة هي المصدر والأساس، للفساد الذي يأتي إلينا من خلال الجسد. ولكن إذا كنا بعد أن نخطئ، نعود الى اليقظة من خلال التوبة، فنحن نطرد هذه الأفكار من أنفسنا.

📖 إنه شيء جيد أن «تنوحوا»، حتى أن الأفكار الشريرة والغير مقدسة، التي حثتكم على أن تخطئوا، يمكن أن تُرفع من وسطكم" (اكو ٥:٢). النوح يرد روح الفساد.

الفيلوكاليا - القديس يوحنا الكرباثى - لأجل تشجيع الرهبان في الهند - صفحة ٢٩٧

📖 **٧١-** من يقاتل لكي يصد ما يزعجه بغارات متعددة ويحاربه، يجب أن يُجند معونة حلفاء آخرين، أعنى: تواضع النفس، التعب الجسدي،

وكل نوع من الصعوبات النسكية الأخرى معاً، مع الصلاة التي تنبع من قلب موجوع، ومصحوبة بكثير من الدموع.

📖 يجب أن يكون مثل داود من يقول: "أنظر إلى ذلي وتعبي، واغفر جميع خطاياي" (مز ٢٥ ١٨)، «لا تسكت عند دموعي» (مز ٣٩: ١٢)، "صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً" (مز ٤٢: ٣)، و"مزجت شرابي بدموع" (مز ١٠٢ :٩).

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - صفحة ٢٧

📖 ٧١- الحزن الذي بحسب مشيئة الله يكسر القلب؛ إنه يُنتَج من الخوف من العقاب.

📖 ٧٢- مثل هذا الحزن ينقى القلب، طارداً منه أدناس اللذة الحسية.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس طلاسيوس الليبي - المئوية الثانية - صفحة ٣٠٧

{٩}

مار إفرام السرياني

في الابتهال والتخشع

📖 أنت وحدك الإله الصالح المتحنن، الآتي بكافة الخيرات، وعين الأشفية، وكنز الرأفات، المعطي دائما الخيرات للذين يسألونك.

📖 فإذ كنت أنا نفسي قد نلت الخبرة بأشفية لا تحصى، ومواهب جليلة خولتها لي يوماً فيوماً، فمن أجل ذلك بلا خجل أتضرع إليك أيها المسيح الإله المحتمل البشر، أن توافيني بنعمتك كالعادة، لكي ما تجمع ذهني، وتشفي جراحاتي المخفية.

📖 لأن الانغلاب، والتنزه، قد عملا فيَّ جراحات مكتومة، فأنت أيها الطويل الأناة، المتمهل الشافي كل وقت بنعمتك ورأفاتك، شفيت بما أنك متحنن أمراضي أنا الخاطئ.

📖 وما أمكنني بالجملة أن أعطي أجرة عوض الأشفية، لأن أشفيتك من أين لها قيمة، إن السماء والأرض لا تستطيع أن تقضي مكافأتك بواجب الاستحقاق عوض أشفيتك، إذ أشفيه خيراتك هي رأفاتك الجزيلة.

📖 ولا يمكن أن تباع أشفيه سماوية وقدسية، لأنه لا ثمن لها، إنما بالدموع تَهبها، وبالبكاء المر تَهبها للكل، ترى من لا يعجب، ترى من لا ينذهل، ومن لا يبارك كثرة تحنن خيراتك يا مخلص نفوسنا.

📖 لأنك ارتضيت أن تأخذ الدموع أجرة عوض أشفيتك.

📖 فيا لقوتك أيتها الدموع. إلى أين تبلغين؟ تدخلين إلى السماء نفسها بمجاهرة كبيرة بلا مانع.

📖 يا لقدراتك فإن مواكب الملائكة، مع كافة القوات، يستبشرون كل وقت بدالتك. أيتها العبرات، كيف تستطيعين إذا شئتِ أن تمثلي بفرح أمام عرش السيد الطاهر، العرش الأقدس الشاهق؟

📖 كيف تصعدين إلى السماء في لحظة عين، طائرة وتأخذين طلباتك من الإله القدوس، فيلتقيكِ بطلاقة حاملاً صفحاً.

📖 فأعطيني أيها السيد أنا الغير مستحق دموعاً كل وقت، واستنارة وقوة لتنبع فيَّ كل حين عيناي دموعاً بحلاوة، فيضيئ قلبي بالصلاة النقية، وتمحى الكآبة العظمة، وتنطفئ هناك النار المحرقة بدموع يسيرة. لأنني إن بكيت هنا، سأنجو هناك من النار التي لا تطفأ، لأنني كل يوم أغيظ أيها السيد أناتك الطويلة، ومرارتي وتحننك هما قبالة عيني.

📖 فلتغلب خيراتك، وطول إمهالك، مرارتي، لأن الطيور بتحنن عظيم تغذي فراخها، وإذا نكرتَها هذه، فلا تتوانى، ولا تغفل عنها، لأن

تحننها يغلب عليها. فإذا كانت الطيور لها تحنن هكذا، فكم بالحري تغلب نعمة رأفاتك، فترحم كل المشتاقين إليك.

📖 وكذلك الأم التي تُشتم من ولدها، لا يحتمل قلبها أن يعرض عنه، لأنَها تُغلب من تحننها، فإن كانت الأم تُغلب من تحننها، فكم أولى بذلك نعمة تعطفك أيها السيد المحب للنفس، أن تغلب كل وقت من قبل رأفاتِها، فتخلص وترحم النائحين دائماً.

📖 فإذ حدق بي العدو النجس الذي يحزنني دائماً، فأغثني بالدموع في الليل والنهار، لتنقذني من قتالاته، لأنني لا أستطيع أن أحتمل حيل الخبيث وصنائعه، إن ابتعدت عني نعمتك لحظة.

📖 لأنه ساعة بعد ساعة يضغط نفسي بالأقوال والأفعال، فلتزجره قوتك التي انتهرت الأمواج البحرية لكي يبطل عن عبدك، لأنه كل وقت يجدد على حيله، ويحرص أن يتملك على ذهني، فيبعده عن حلاوة تلاوة وصاياك الإلهية.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة السابعة ـ حكم ـ صفحة ٩٢ ـ ٩٣

رثاء النفس

📖 في بعض الأيام نَهضت في الدلج، وذهبت أنا واثنان من الإخوان إلى مدينة الرها المباركة، فرفعت عيني إلى فوق السماء فعاينت المدينة كامرأة صافٍ صقالها، تتلألأ على الأرض كالنجوم لامعة بمجد. فإذ تعجبت كثيراً قلت: إن كانت هذه البرايا تلمع بمجد هكذا، كم أولى بالقديسين، والصديقين الذين صنعوا مشيئة الإله القدوس، في تلك الساعة إذا جاء الرب، أن يشرقوا أكثر بنورٍ لا ينعت، بنور مجد المخلص.

📖 وللحين تذكرت ورود المسيح المرهوب، فاضطربت عظامي، وانقطعت قوة نفسي مع جسمي، وبكيت بوجع قلب، وقلت بزفرات:

📖 كيف أُوجد أنا الخاطئ في تلك الساعة الرهيبة؟!

📖 كيف أمثل بحضرة مجلس القاضي المرهوب؟!
📖 كيف أُوجد أنا المتنزه مع الكاملين؟!
📖 أم كيف أقف أنا الجدي مع الخراف عن ميامن المسيح؟!
📖 أم كيف أُوجد أنا الغير مثمر، مع القديسين العاملين هنا ثمر العدل؟!
📖 أو إذا عرف القديسون بعضهم البعض في الحجلة السمائية، ماذا أصنع أنا؟! ترى من يعرفني!
📖 هل الصديقون في الخدر؟ أو المنافقون في النار؟
📖 فترى الشهداء عذاباتِهم، والنساك فضائلهم.

📖 فماذا أري أنا سوى رخاوة نيتي، أيتها النفس المتنزهة، يا نفسي الخاطئة، أيتها النفس التي لا حياء لها، أيتها النفس الماقتة حياتِها، إلى متى تجذبك الهموم على الأرض؟!
📖 إلى متى يجرك سوء عادة الأفكار الخبيثة؟!
📖 أما قد علمت أن الأفكار الخبيثة في كل ساعة، تصير كسحابة مظلمة قدامك، وتحجزك عن أن تقفي لدى الله!
📖 أنتِ تتوقعين بوفور، ونيتك أن الختن السمائي سيبطئ في وروده.
📖 لا يبطئ يا شقية، بل كبرق خلب يكون وروده من السماء.
📖 احرصي أن توجدي مستعدة في تلك الساعة المخيفة، لكيلا تبكين هناك إلى أبد الدهور.
📖 لا تصغي بالكلية إلى هفوات آخرين، بل انتحبي على زلاتك.
📖 لا تبصري إلى القذاء في عين الأخ والقريب، بل تأملي الجذع في ناظرك تأملاً متواتراً.

📖 إن أمكنك أن تنتزعي أولاً الجذع من عينك، فأخرجي قذاء الأخ والقريب، وإن لم يمكنك فنوحي على ظلمتك المستصعبة.
📖 كيف تظنين أنك تمنحين القريب نوراً.

📖 صيري يا نفسي طبيبة لذاتك كل ساعة، ثم بعد ذلك أشفي أخاكِ السقيم، فليست لك حجة عن توانيكِ، لأن الإله الرحوم قد أعطاكِ كل المواهب، تمييزاً، وفهماً، ومعرفة روحانية، فاعرفي منذ الآن ما يوافقك. فبكى عند ذلك الإخوان اللذين معي، وقالا: لم تبكِ أيها الأب بكثرة نحيب؟

📖 فقلت لهما: يا ولديَّ المحبوبين، أنوح على ذاتي من أجل ونيتي، لأن الإله الصالح قد أعطانا استنارة العلم، وأنا أخالفه يوماً فيوماً.

📖 لأنني إن أكملت مشيئة الرب، فسأكون في تلك الساعة مغبوطاً، ولست وحدي بل والذين يعملون مسراته.

📖 فمن أجل هذا يا إخوتي، لا معذرة لنا هناك البتة، لأننا نخطئ بمعرفة، فلنتأمل تدبير الله في كافة المواهب التي أعطانا إياها.

📖 فنعمته تتعهد قلوبنا دائماً، فحين تجد راحة لها تدخل تسكن في النفس سرمداً. وإن لم تجد القلب نقياً نظيفاً، تبتعد عنه، ثم تضطرها رأفاتِها أن تتعهد الخاطئين.

📖 فإذا كنا متغيري العزم، وذهننا يستحيل متقلباً، أليس بالطبع نوجد دائماً متنزهين، ومسترخين، حسودين، خبثاء، مفتكرين بعضنا ببعض أفكاراً رديئة، فاسقين، نجسين، متذكرين أفعالاً رديئة خبيثة، دائماً مطروحين في حمأة منتنة من الأفكار. فإذا جاءت النعمة تفتقدنا تجد في قلوبنا نتانة الأفكار الخبيثة، فتتنحى وتبتعد، إذ لم تجد مدخلاً تدخل وتسكن فينا كما تريد، سوى أنَها تنخر القلب بحلاوة منيرة، ليحس بأنَها تعهدته، ولم تجد لها مدخلاً.

📖 لكي إذا تحلى الإنسان بالأنوار سار يطلبها، ومع هذا فهذه النعمة لا يمكنها أن تبتعد منا بالجملة، لأن تحننها يلزمها ويضطرها أن ترحم الكل. أرأيت تدبير الله السابق، أرأيت تحنن المسيح الإله القدوس، كيف يحبنا دائماً مريداً أن يخلصنا. فمغبوط الإنسان الذي يحرص

كل وقت أن يعد قلبه نقياً نظيفاً للنعمة، لكي ما إذا جاءت تجد فيه طيب نسيم الفضائل، وطهارة النفس، فتسكن فيه إلى أبد الدهور.

📖 فماذا نعطي الإله المتحنن عن كافة خيراته ومواهبه:
📖 إذ نزل من السماء من لدن الآب.
📖 وتجسد من أجلنا في مستودع البتول.
📖 ومن أجلنا لطم مثل عبد، فماذا نقضي عن اللطمة وحدها؟
📖 إن عشنا على الأرض ألف سنة، لا نستطيع أن نفي الله كما يجب له مجازاة نعمته.

📖 إني أخشى من هذا يا ولديَّ المحبوبين، لأنني أعرف ونيتي، وأخاف من أن يكون كافة الناظرين إلى، ومطوبي ورعي الكاذب، يبصقون على هناك إذا أبصروني متحرقاً بالنار.
📖 أرثِ يارب، أيها المتحنن، المسيح المخلص، الابن الوحيد، لعبدك العاطل، لئلا أوجد هناك قدام المنبر واقفاً بخوف وخزي عظيم، وعاراً للمشاهدين أي الملائكة والناس.
📖 أدبني هنا يا مخلصي، كما يليق بالأب المتحنن المحب ولده، واغفر لي هناك، بما أنك أنت الإله السماوي الغير خاطئ وحدك.
📖 فإنك إن لم تيقظ الشقي، وتعطيه استنارة قلب ليتوب بلا خجل عن خطاياه، فماذا يصنع هناك إذ لا عذر له؟

📖 فإذ لم أكن موجوداً على الأرض، فجبلتني يا سيدي برأفاتك الجزيلة في جوف أمي الخاطئة. وولدت أنا الغير مستحق برحمتك.
📖 وأُهلت أن أصير أناة لنعمتك.
📖 ورباباً جليلة تترنم على الدوام كلمات الخلاص لكافة السامعين.

📖 فأخذت هذه الصلاة أنا المسترخي الخاطئ، وأنكرت بتوانيَّ وارتخائي، لكن نعمتك لا تزال تترنم بفم المتواني ترنيمات بارة، وتنير المعقول المظلم، وتحرك فيَّ نغمات ترنيمك أيها المسيح.

📖 من أجل هذا أجثو ساجداً لنعمتك أيها الابن الوحيد مخلص نفوسنا، طالباً كما صارت عنا نعمتك فيَّ أنا الغير مستحق كل ساعة استنارة وصيانة ونصراً وفرحاً، أن تسترني هناك تحت أجنحتها من تلك الطائلة المخيفة، وتوقفني في الجهة اليمنى في ملكك، مترأفاً على، مخلصاً إياي برحمتك، لأسبح وأمجد طول أناتك، لأنك لم تعرض عن عبرات عبدك العاطل الخاطئ. لك السبح إلى أباد الدهور. آمين

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة السابعة ـ حكم ـ صفحة ٩٧ ـ ٩٩

📖 فمن عرف ذاته أنه أخطأ إلى اللـه، وتراخى بنيته، وأخطأ عمداً، فما دام يجد زماناً، فليبكِ باشتياق، ولينتحب بلا انقطاع، ليجذب الدموع إلى قلبه سروراً، وليقتنِ تخشعاً، ويحمِ جسمه بالدموع والزفرات. هل اختبرتم يا إخوتي الدموع؟

📖 هل استضاء أحدكم بنعمة الدموع من أجل اللـه؟

📖 فأيقنوا يا إخوتي أن ليس على الأرض ألذ حلاوة من الفرح، والتخشع في تلك الساعة.

📖 إذا صلي الإنسان ورأى الإله جالساً في قلبه دائماً، من منكم أختبر هذا. أو أستطعم {أحدكم} الدموع حين صلى بارتياح وشوق.

📖 وأرتفع من الأرض، وصار بجملته خارج الجسم، أليس يصير خارج هذا الدهر كله، ولا يكون على الأرض، لأنه يناجي الإله نفسه، ويستضئ بالمسيح، ويتقدس بالروح القدس.

📖 يا إخوتي عجب عظيم أن يخاطب إنسان ترابي في صلاته الإله الذي لا يُرى. مغبوط الرجل الذي له كل وقت تخشع من أجل اللـه.

📖 التخشع يا إخوتي هو شفاء النفس. الخشوع هو استنارة النفس.

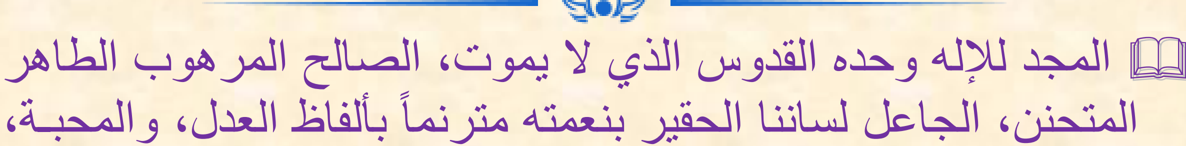
📖 التخشع يفيد دائماً غفران الخطايا. التخشع يجذب إليه الروح القدس.
📖 الخشوع يُسكن فينا الابن الوحيد إذا صبونا إليه، وإني لخائف أن أصف لكم اقتدار الدموع.

📖 حنة بالدموع أخذت من الله صموئيل النبي، بسمو وفخر لقلبها.
📖 المرأة الخاطئة في منزل سمعان أخذت من المسيح غفران خطاياها، حين بكت، وبلت رجليه المقدستين.
📖 عظيمة قوة الدموع، وتقتدر كثيراً.
📖 الدموع التي من أجل الله، تُجلى دائماً النفس من الخطايا.
📖 وتنظفها من الآثام. العبرات تمنح دالة لدى الله القدوس.
📖 والأفكار الدنسة لا تقدر قط أن تقارب النفس الحاوية التخشع.
📖 فماذا ترى يكون أعلى سمواً من هذه الحلاوة؟
📖 وأي شيء يكون مأثوراً أكثر من تطويبها، إذا ما حوت الإله الذي تصلي وتبتهل إليه؟ أيها الإخوة إذا صبت، النفس إلى الله تبصره دائماً في صلاتِها، وتدرس في الليل والنهار.

📖 التخشع هو كنز لا يُسلب.
📖 النفس الحاوية التخشع تفرح فرحاً لا ينطق به.
📖 وقلت التخشع لا يوماً واحداً فقط، بل إنما أعني التخشع الصائر دائماً باطناً في النفس ليلاً ونَهاراً.
📖 التخشع في النفس هو كعين صافية، تسقي أغصانِها المثمرة فيها.
📖 وقلت أغصانَها المثمرة، أعني بذلك الفضائل التي تسقى دائماً بالدموع والزفرات، فتثمر ثمراً رائقاً نضارته في نفسك نافعاً أبداً.
📖 فلتكونن غروسك مختارة وبَهية.
📖 أسقِ أيها الأخ غروسك بلا انقطاع، مبتهلاً بدموع حتى إذا سقيت تنمو وتثمر يوماً فيوماً. لا تصر متشبهاً بي أنا المسترخي الخاطئ، الذي أقول كل يوم ولا أعمل ألبته.

لا تصر هكذا متوانياً بنيتك مسترخياً باختيارك، فإنه لا يكون لك خشوع ولا صلاة نقية. فأنني أعرف نفسي كل حين خاطئاً، وأنا متخوف دائماً من الدينونة المنتظرة، وليس لي اعتذار عن جرائمي.

فأطلب إليكم يا إخوتي القديسين الخائفين من الله، والعاملين دائماً الأفعال التي ترضيه، أن تشفعوا إليه عني أنا الحقير، لتوافي إلى نعمة بصلاتكم، وتخلص نفسي في تلك الساعة المخيفة المرعبة، إذا جاء المسيح ليكافئ كل واحد نظير أعماله.



المجد للإله وحده القدوس الذي لا يموت، الصالح المرهوب الطاهر المتحنن، الجاعل لساننا الحقير بنعمته مترنماً بألفاظ العدل، والمحبة، والتخشع لابتناء النفس، وإنارة القلب، ومنفعة الذهن.

حتى تتحلى النفس بتلاوة هذه الأقوال، وتجتذب إلى الحياة الأبدية بربنا يسوع المسيح. الذي له المجد والعز والقدرة الآن ودائماً وإلى آباد الدهور. آمين

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة السابعة ـ حكم ـ صفحة ١١١ ـ ١١٧

قال القديس مار إفرام السرياني:

الراهب العاجز لا ينفع ذاته ولا قريبه، وغير العاجز يستنهض المتوانين جدًا إلى الفضيلة. تفهّم يا أخي، أنّ من أجلك أقبل الإله الأعلى والأقدس من السماء، ليعلو بك من الأرض إلى السماء.

مغبوطٌ هو الذي حرص من هنا عندما يوجد في ذلك اليوم مستحقًا لتلك السعادة. وإذ لا يمكن أن تُباع أدوية سماوية وقداسة لأنها ليس لها ثمن، فالدموع تهبها للكل.

تُرى مَنْ لا يتعجب، ولا يُذهَل، ولا يبارك كثرة تحننك يا مخلص نفوسنا، لأنك ارتضيت أن تأخذ الدموع عوض أشفيتك.

فيا لقوة الدموع! إلى أين بلغْتِ؟ لأنكِ تدخلين إلى السماء بمجاهرة كثيرة بلا مانع، وتأخذين طلبتكِ من الإله الأقدس.

كتاب فردوس الآباء ـ القديس مار إفرام السرياني ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٨٢

📖 **قال القديس مار إفرام السرياني:**

📖 إنه حيث يكون التخشُّع، والدموع، والتواضع، لا يوجد عدم الترتيب، ولا أمرٌ طالحٌ، بل حُسن الترتيب والصلاح.

كتاب فردوس الآباء ـ القديس مار إفرام السرياني ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٨٣

📖 **قال القديس مار إفرام السرياني:** وفي أحد الأيام قلتُ له {للقديس ليوليانوس}: تُرى مَنْ الذي يمحو المصاحف التي هنا؟ لأنه حيثما يكون مكتوب اسم الله، أو الرب يسوع المسيح، أو المخلِّص، أجد حروف هذه الألفاظ المكتوبة ممحاة!

📖 فقال المغبوط: لا أكتم عنك شيئًا، إنّ الزانية تقدَّمَت إلى المخلِّص وقبَّلَت قدميه بعَبَراتها، ومسحتهما بشعر رأسها.

📖 وأنا متى قرأتُ الكتب فحيث أجد اسم إلهي مكتوبًا أبلُّه بدموعي، لكيما آخذ منه غفران الخطايا.

📖 فأجبته مسرورًا: إنّ الله متعطِّفٌ على الناس، وقد قَبِل نيتك، فأطلبُ إليك أن تُشفق على المصاحف".

📖 فقال لي: لا يتندَّى قلبي إن لم أبكِ قدّام الرب إلهي!

📖 ولقد عاش في النسك بحرارةٍ متوقِّدة، أكثر من خمس وعشرين سنة، ثم انتقل بالرب.

📖 تحمَّل القديس الاضطهاد، والطاعة، فصار مستحقًا للتطويب من القائل: «طوبى للمساكين بالروح لأنّ لهم ملكوت السماوات» {مت٥: ٣}. إنّ عينيَّ لَتسكبان الدموع على مفارقة إنسان الله!

كتاب فردوس الآباء ـ القديس مار إفرام السرياني ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٨٤

📖 **ومن أقول مار إفرام:**

📖 "تفهم يا أخي إن من أجلك أقبل من السماء الاله الأعلى والأقدس، ليُعليك من الأرض إلى السماء. مغبوط في ذلك اليوم، الذي قد

حرص من هنا، كي يوجد مستحقاً لتلك السعادة. وإذ أنه لا يمكن أن تباع الأدوية السماوية والقدسية، لأنه ليس لها ثمن، ولكنها بالدموع توهب للكل.

ترى من لا يعجب، ومن لا ينذهل، من لا يبارك كثرة تحننك أيها المخلص لنفوسنا، لآنك ارتضيت أن تأخذ الدموع عوض أشفيتك.

فيالقوتكِ أيتها الدموع! إلى أين بلغت؟! حتى إنك تدخلين إلى السماء مجاهرة كثيرة بلا مانع، وتأخذين طلباتك من الاله الأقدس.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٤

{١٠}

القديس يوحنا السيوطي

طوبى للحزانى

أن تذكر تواضع سيدنا يحفظ العقل، ويقيم الضمير بالنقاوة، ويرشده للاهتمام بالصالحات، ويقبض الذهن من الطياشة بالشرور.

وبذلك اقتنى كثيرون حزن النوح، وذل التواضع.

لأن الضيقات تحل في النفس بالصالحات، وتجمع الضمير من الطياشة، وتنقى الفكر، وتفكر الذهن بالدينونة المزمعة، وتجدد حركات القلب، لأن الضيقات هي السبب في الاهتمام بتذكار الله.

ومن الواضح أن بكثرة آلام سيدنا، وتجلده على احتمالها، دنونا إلى ارتفاع محبته، وقد كان آبائنا السعداء الطوباويون تأتيهم الدموع بسهولة في وقت التضرع، لأنهم كانوا على الدوام يتأملون ويتفرسون في آلام سيدنا.

ولأجل مداومتهم في ذلك كانوا يلهجون بالتضرع عند قيامهم بصلواتهم، وكانت تتواتر في ضمائرهم تمجيداته، ومن تعجبهم كانت تنهمر الدموع من عيونهم.



📖 فإذا كنت تطيش بأفكار غريبة عن الاهتمام بتمجيدات اللـه، وتشتاق للدموع المتواترة، فحاسب نفسك كم ليلـة سـهرت لأجلهـا، أو كم من الأعمال قدمت إلى اللـه ليجود عليك بحزن الدموع.

📖 لأنـي أقـول إن كثـرة حـزن الـدموع هـي موهبـة مـن اللـــه، تعطـى باجتهاد طلبات السائل.

📖 فـاحترس لنفسـك ليكـون قيامـك بكرامـة قـدام اللـــه، ولا تبتعـد مـن الالتصـــاق بملائكتـــه، لأن بالحقيقـــة عســـاكر ملائكـــة الإيمـــان الحـق حاملين القيام بتمجيد اللـه، وكل موضع يكـون فيـه محـب اللـــه تتبعـه عساكر اللـه لفضيلته.

📖 أما الذي قد لبس اسم النوح وعقله متـواترا، فيكـون ضـميره مملـوء حرصا لتحصيل الأمـور، ولـيس فيـه طهـارة تسـتقيم مـن النظـر للـــه بضــميره، ولا يتفــرس فــي ألام ســيدنا، ولا يتحــرك ضــميره بــذكر الدينونة العظيمة المزمعة، لا يتردى ضميره بالحزن على الناس.

📖 فلنحـذر لأنفسـنا ونهـتم بـذواتنا، لـئلا يصـير قلبنـا الـذي سـماه اللـــه بمحبته لنا منزلا لعظمته، متواترا ومملوء تعويقا لحلول خالقنا فيه.

📖 ولنوضـح يا إخوتي موتنا قدام أعيننا كل ساعة.

📖 بالحقيقة ليس شيئا يكثر احتراس الإنسان، ويسكن حياته داخل دور الحق كمثل ما يضع ألم موته قدام عينيه.

📖 طوبى لمن خطف حياته بالموت كل وقت يوما بعد يوم.

كتاب الآباء الحاذقون في العبادة ـ الجزء الثاني ـ القديس يوحنا السيوطي ـ صفحة ١٢٦

{١١}

القديس أوغسطينوس

الفصل الخامس

طوبى للمساكين بالروح

📖 من المستحيل أن نجد إنساناً يأبى أن يكون سعيداً، ولكن، ليت البشر يرتضون العمل المثاب، بنفس الحماس الذي به يتوقون إلى الثواب.

📖 ومن ذا الذي لا يركض {فرحا} متى قيل له: ستكون سعيداً؟!

📖 فليصغ أيضاَ بطيبة خاطر إلى القول التالي: إن علمت هذا فلا ترفض الجهاد إن طلبت الجزاء، وأشعل نفسك صانعاً عملك بسرعة تقدير للمكافأة. إن ما تريده وتشتهيه وتطلبه {من السعادة} يأتي بعدئذ، ولكنهم أمروك بما يجب أن تعمله الآن في سبيل ما سيكون.

📖 أشرْ بتذكر كلام المسيح، أو على الأقل أحصْ تعاليمه.

📖 طوبي للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السماوات {متى٥/٣}، سيأتي ملكوت السماوات، أما الآن فكنْ مسكيناً بروحك.

📖 أتريد أن تحوز ملكوت الله في المستقبل؟

📖 أنظر الآن من أنتَ، وكن مسكيناً بالروح.

📖 المسكين بالروح وديع، يخاف الله حين يأتي عملاً صالحاً، ويشكو نفسه حين يأتي سوءاً. المسكين بالروح هو من لا يرجو سوي الله، لأن الرجاء فيه وحده لا يخيب.

📖 المسكين بالروح يتخلّى عن كل ماله، ويتبع المسيح، ويوزع على الفقراء كل ما يملك لكي يطيع المسيح، ولا يعوقه شيء عالمي.

📖 وإذ يتحررّ من كلّ حمل أرضي، يطير إليه كما على أجنحة.

📖 ومع ذلك فكثيرون يظهرون بمظهر الأغنياء بحسب العالم، بينما هم يعتبرون مساكين بالروح. لأنهم يرون أنفسهم في خطر في هذه الحياة، فيعملون فيها كمسافرين.

📖 يميلون عن ثرواتهم الطائلة نظير المسافر، الذي يمر على فندق ولا يمكث فيه. أولئك هم أصغر الناس وأحقرهم لأنهم متواضعون، وليسوا متكبرين ومتشامخين، إن زنتهم وجدتهم من ذوي الوزن الثقيل. وإن أردت بالمساكين الودعاء، ظهر الأغنياء أمامك متكبرين.

📖 وإن كنتَ تشتهي وتستكبر وأنت لا تملك شيئاً، أحصيت مع الأغنياء والمنبوذين.

📖 أنتبه إلى هذا الأمر كيلا تلوم الأغنياء هنا وهناك، ثم تغتر بفقرك ومسكنتك. وماذا ينفعك فقرك إلى الخيرات إذا كنت تتحرق شهوةً؟

📖 إن الله يسأل القلب، ولا يسأل الصندوق والبيت، حين يريد أن يميز بين الغني والفقير.

📖 أما المتكبر الذي ليس فقيراً بالروح، فهو الذي لا يتوب، معترفاً بخطاياه، لكي يشفي بواسطة التواضع. المتكبر هو من يغزو نفسه بالمال الضئيل الذي يكون له، ويخرجه عن رحمة الله.

📖 المتكبر هو من يشتم من لا يعملون الخير، ويستكبر عليهم، وإن رد إلى الله الخير الضئيل الذي يعمله. ولم تتباهي أمامي بفقرك، وقد أقنعتك بوجود شتي الأطماع فيك؟

📖 أتقول إنكَ فقير؟ احذر لئلا تكون ما تقول بسبب كبريائك.

📖 هوذا أحدهم يتوب ويتخلّى عن غرفة أبيه الوضيعة {وليس فيها أكثر من سرير وخزانه} أنه يتوب ويبحث عن الخيور الروحية، ذاك أمر حسن بل ممتاز لا تشتمه، ولا تقل لم يترك شيئاً.

📖 لا تستكبر إن كنت قد تركت الكثير.

📖 أنت تعلم إن بطرس كان صياداً وماذا ترك من أجل المسيح؟

📖 أخوة أندراوس ويعقوب ويوحنا أبنا زبدي كانوا صيادين، ومع ذلك ماذا قالوا؟ ها قد تركنا كل شيء وتبعناك؟ {متى١٩/٢٧}.

📖 لم يقل المسيح لبطرس: نسيت فقرك، وماذا تركت من أجل العالم كله؟ لقد ترك كثيراً ذاك الذي لم يترك فقط ماله، بل كل ما كان يتوق إليه. وبكلمة واحده أن بطرس قد ترك بالوقت ذاته العالم، وأخذه كمن ليس له شيء وهو يملك كل شيء.

📖 هذا هو شأن الرهبان إن من يملكون القليل ويدخلون الدير ليصبحوا عصافير نافعة، يتركون كل شيء ليربحوا كل شيء.

📖 وقد يظهرون بمظهر الناقصين، لأن ليس لهم سمو المجد العالمي، ويبنون أعشاشهم في الأديرة كعصافير الدوري في أرز لبنان.

📖 إن إشراف هذا العلم وأغنياءه وعظمائه، إذا كانوا مساكين بالروح، يقيمون ثرواتهم وممتلكاتهم وخيورهم الزائدة، وكل ما يجعلهم قبلة الأنظار، ويقدمونها إلى خدام الله.

📖 إنهم يهبون حقولهم وبساتينهم، ويشيدون كنائس وأديرة، ويستقبلون عصافير الدوري لكي يبنوا أعشاشهم في الأديار كما في أرز لبنان.

📖 إن مسكنه الروح مفيدة للجميع، للغني وللفقير، للغني بإرادته وأعماله، وللفقير بإرادته وحدها. وبالتالي، سواء أملكت شيئاً من حطام هذا العالم، أم لا، كن فقيراً، وإن لم يكن لك شيء فلا تحتقر الغني المتواضع. أيها الفقير، كن فقيراً حقاً أي متواضع.

📖 إن كان الفقير قد تواضع، فأحر بالفقير أن يكون أكثر تواضعاً.

عواطف وصلوات

📖 رب أنا لم احمل معي شيئاً إلى هذا العالم، ولن أحمل منه شيئاً، حسبي القوت والكسوة. لو شئت أن أصبح غنياً لسقطت في التجربة، وفي شهوات مختلفة، حمقاء وخطرة، ترسل الناس إلى الهلاك والموت. أصل الشرور كلها البخل، كم من أناس اضطرمت شهواتهم فمالوا عن الإيمان، وغاصوا في عذابات كثيرة؟ سوف ألقاك أيها الفقير الحقيقي، يا من جعلت نفسك فقيراً من أجلي، مع إنكَ غنيّ.

📖 من ذا الذي يتأمل في خيراتك على حقيقتها؟

📖 ومن ذا الذي يتصوّر ما أنت عليه من الفقر.

📖 يا فقر سيدي! يا فقراً حبُلَ امرأة عذراء، واحتواه حشا أم ـ يا له من فقر! لقد ولد في ملجأ ضيق، ووضع في مذود، ولفّ بأقمطة الطفولة.

📖 ثم راح معلم السماوات والأرض، خالق الملائكة، وصانع الأشياء المرئية وواضع أسسها، يرضع ثدي أمه ويصرخ في المهد، ويغتذي وينمو ويتحمّل تقلبات الطقس، ويخفي جلاله.

📖 وأخيراً قبضوا عليه، واحتقروه، وجلدوه وشتموه، وبصقوا عليه، وصفعوه، وكللوه بالشوك، وعلّقوه على الخشبة، وطعنوه بالحربة.

📖 يا له من فقر. رب إن تأملت في فقرك، وجدت كل شيء حقيراً أمامي. إني أحب ما ليس لي حتى الآن، فإن حصلت عليه احتقرته.

📖 أي خير يشبعني؟ ومتى أرتوي من الخيرات؟

📖 لن أشبع من الأشياء المائتة والزمنية، هبني وأعطني ما هو أزلي.

📖 هبني حكمتك، هبني كلمتك، إلهاً من إله، هبني ذاتك يا الله الأب، وهبني الابن، والروح القدس.

📖 أني أبسط يدي إليك لأن نفسي بالنسبة إليك هي كأرض لا ماء فيها.

📖 إني أرفع نفسي إليك وليس ضدك، إني أرفعها كالإناء إلى الينبوع. فأملاني. ها قد شعرت بعذوبة الوطن ومرارة السفر.

📖 خارجاً عنك ومن كل ما هو حاضر لي. لا شيء يحلو لي.

📖 لا أريد شيئاً من كلما أعطيتني إن لم تعط نفسك، يا من أعطيت كل شيء. لترن صلاتي دوماً في أذنيك، واستمع دائماً إليها، ها قد صرت منذ الآن مسكيناً بالروح، فجعلني سعيداً في ملكوت السماوات.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية - الكتاب الخامس - صفحة ٢٧٠ - ٢٧٣

الفصل السابع

طوبي للباكين فإنهم يتعزون

📖 منذ الهنية التي فيها نولد نسير نحو نهايتنا لأنه: من ذا الذي يثبت؟!

📖 ومن ذا الذي لا يضطر إلى أن يمشي منذ الهنية التي فيها دخل في هذا الطريق، لقد ولد طفلاً وهوذا يسير وينمو ثم ينتهي في الموت.

ومن ذا الذي لا يبكي ها هنا في هذا الطريق الشاق، بينما الولد ذاته يعرف البكاء؟

أكيد أن الطفل حين يولد ويخرج إلى الكون من الحشا الضيق الذي حمله، يسير من الظلمة إلى النور، وبرغم أنه آت من الظلمة إلى النور يبكي ولا يضحك. سلِ الطفل المولود عن سبب بكائه.

حين يبكي ولداً، يتنبأ عن شقائه، ودموعه تشهد على تعاسته.

أنه لا يزال يجهل النطق، ومع ذلك فقد تنبأ.

يتنبأ عن العذاب الآتي، أو أقله في وسط التجارب، فسيظل دوماً خائفاً. الناس يضحكون ويبكون، ومن اللازم أن يبكي ممّا يضحكهم.

بيد أن هذا الإنسان يبكي خسارته.

والآخر يبكي حزنه الذي تسبب له من وجوده في السجن.

والثالث يبكي لأنه رأي أعزَّ الناس لديه يموت.

هذا يبكي لهذا السبب، وذاك لذاك. وأول هؤلاء الباكين جميعاً هو الرجل البار، الذي يُبكي حقاً أولئك الذين يذرفون دموعاً عقيمة.

أنه يبكي على من يبكون، وعلى من يضحكون، لأن الباكي على أمور باطلة يبكي سدي، والضاحك لما لا قيمة له يتأذّى من ضحكة.

البار يبكي دوماً، ولهذا يبكي أكثر من سواه.

انه يبكي في صلاته، حين يوصي خيراً بأعماله الصالحة.

سفر طويل بدون دموع، لا يكشف عن الرغبة في رؤية الوطن.

إن كنت ترغب فيما لست فيه، فاسكب دموعك.

وأنيّ لك أن تقول لله: تعزَّيت به حين انتحبت، واغتذيت منه حين جعت. وأيّ بار خلا من هذه الدموع؟ إنّ منْ لم تكن له هذه الدموع لم يكتئب على غربته.

بأي وجه يأتي إلى الوطن من لم يبك، غائباً عنه، في طلبه؟

دموع الأبرار مستمرة. ولكن هل الوطن على هذا الطريق؟

📖 إن الذين يلهون في ميولهم فيبكون سدى، ينتحبون حين يخُدعون.

📖 ولكن حين يخدعون يتهللون طرباً، إنهم يبكون ذواتهم في هذا الطريق، ولكنهم لا يبكون طلباً لتعزية.

📖 وماذا يحصد هؤلاء الذين لم يزرعوا شيئاً؟

📖 أو بالأحرى إنهم ليحصدون ما زرعوا.

📖 سوف يحصدون النار لأنهم زرعوا الأشواك.

📖 كم يلزمني من الوقت إن أردت أن أحصي ما في هذه الحياة من شقاء؟ لخيور هذا العالم خشونة حقة، وجمال خداع، ألم أكيد، ولذة غير مضمونة، تعب شديد، وراحة قلقة، واقع ملئ بالشقاء، ورجاء فارغ من السعادة.

📖 شقيّ هو القلب المقّيد بحب الأشياء الفانية، يخسرها فيتمزَّق، ويشعر آنذاك بالبؤس الذي كان يغمره قبل خسارتها. تأمّل العالم كأنه بحر في مهب ريح شديدة، وعاصفة قوية، لكل منا شهوة عاصفة.

📖 أتحب الله؟ إنكَ تمشي على البحر، وتحت أقدامك ثورة العالم.

📖 أتظن أن الريح مضادّة لك حين تصل إليك مقاومة هذا العالم؟

📖 في الحروب والاضطراب والجوع والطاعون، وحين يصاب كل إنسان بضربة خاصة، حينذاك يظن المرء أن الريح مضادة، وأن عليه أن يدعو الله، لا تسأل في هذه الناحية هدوء الجو بل أسأل شهوتك. أنظر إذا كان الهدوء فيك، وإذا لم يكن الهواء الباطني يقلبك رأساً على عقب، حذار من ذلك.

📖 إنها لفضيلة كبيرة أن يجاهد الإنسان مع السعادة، لئلا تغويه وتفسده وتهلكه. إنها لقوة كبيرة أن يجاهد الإنسان مع السعادة.

📖 وأنه لدليل سعادة حقه إلا يقع المرء فريسة الازدهار.

📖 في وسط هذه الأشياء كلها قد تحترق بإدراكك لخطاياك، ومن يدري؟ أطفئ لهيب الخطيئة بدموعك، وأبك أمام الرب.

📖 أبك مطمئناً أمام الله الذي صنعك، والذي لا يحتقر فيك ما صنعته يداه. أبك أمامه، وأنتحب بحضرته، وأعترف له، وتجنّب وجهه في الاعتراف، ومن أنت أيها الباكي أمامه المعترف لله، سوي ذاك الذي صنعه. لا يحق للمصنوع أن يكون قليل الثقة بين يدي خالقه، لأنه لم يصنعه عادياً بل صنعه على صورته ومثاله.

عواطف وصلوات

📖 لن أبكي أيها الرب بحسب الجسد.

📖 أية تعزية يجني أولئك الذين يبكون على هذا النحو؟

📖 تعزيتهم شريرة، فعلينا أن نخشاها.

📖 أنه من يبكي ها هنا يلقي تعزيته، حيث يخشى أن يبكي من جديد.

📖 التعزية الحقه هي التي بها ننال، ما لن تخسره إلى الأبد.

📖 إن كنت أبكي في منفاي، فرغبةً في الحصول فيما بعد على فرح التعزية. لتكن الدموع نصيبي الآن، حتى تتعرى نفسي من أوهامها، ويلبس جسمي الصحة الحقة التي هي الخلود، ولا يقل لي أحد: أنت سعيد، لأن من يقول لي أنت سعيد يريد أن يغويني.

📖 وعلى كل حال فقطرنا هذا هو قطر الشكوك والتجارب والشرور.

📖 إنها بلاد الأموات، بيد أن بلاد الأموات زائلة لتحل محلها بلاد الأحياء. في بلاد الأموات عمل وألم وخوف وبلايا وتجارب، وبكاء ونحيب. ها هنا السعداء الكذبة، والتعساء الحقيقيون، لأن السعادة هنا كاذبة والبؤس حقيقي.

📖 وإن اعترفت ببؤسي الحقيقي وصلتُ إلى السعادة الحقيقية.

📖 والآن، إذ أتألم أسمعك تقول: طوبي للباكين!

📖 يا لسعادة تلك الدموع. لا أقرب إلى البؤس من الحزن، ولا أبعد عن البؤس من السعادة، ومع ذلك ها إنكَ تدعو الباكين وتقول إنهم

سعداء أجعلني يارب قولك: أنت تقول: "طوبي للباكين، ولكنهم سعداء في الرجال هؤلاء الباكون الآن".

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية - الكتاب الخامس - صفحة ٢٧٨ - ٢٨١

{١٢}

سمعان اللاهوتي الجديد

📖 ٧١- لا تدع أحدا مضللا، ولا تدعه يضل نفسه بكلمات فارغة، قبل أن نحزن ونذرف الدموع، لا تكون لنا توبة، ولا رغبة حقيقية في التغيير، ولا خوف من اللـه في قلوبنا. لأننا لم نصبح بعد على دراية بذنبنا، ولم ندن أنفسنا، ولم تكن نفُسنا تتوقع الدينونة الأخيرة، والعذاب الأبدي.

📖 لأننا لو كنا قد أدنا أنفسنا، وجربنا حركات القلب، وشعرنا بهذا الإحساس، لذرفنا دموع غزيرة في الحال.

📖 وبدون هذه الدموع لا تستطيع قساوة قلوبنا أن تلين، ولا نفوسنا أن تحصل على الاتضاع الروحي، ولا يكون لنا نحن أنفسنا المقدرة على أن نصير متواضعين.

📖 الإنسان الذي ليس على هذه الشاكلة لا يستطيع أن يتحد بالروح القدس، وبدون هذا الاتحاد الذي يمهد له التطهير من كل الانفعالات، لا يستطيع أن يعرف ويتأمل اللـه، ولا أن يكون أهلا للتعليم السري في فضائل الاتضاع.

📖 ٧٢- أول أثر للحزن في اللـه هو الاتضاع، لكنه بعد ذلك يجلب فرحا وابتهاجا لا ينطق به.

📖 الاتضاع الكامل في اللـه ينمى رجاء الخلاص، لأنه كلما يزداد الإنسان شعورا بنفسه بأنه أكثر الناس إثما، يزداد رجاؤه قوة، وينمو

الاتضاع في قلبه ويزدهر، ويملأه يقينا أنه بواسطة الاتضاع لابد أن ينال الخلاص.

📖 ٧٣- كلما يزداد الإنسان توغلا في أعماق الاتضاع ويدين نفسه كواحد غير مستحق للخلاص، يزداد حزنه، ويسكب الدموع مدرارا.

📖 وكلما يزداد نحيبه، وإذراف الدموع، يزداد فيض الفرح الروحي في قلبه، وبه يزداد فيض الرجاء الذي يعطيه الثقة التامة في الخلاص.

📖 ٧٤- يجب على كل إنسان أن يختبر نفسه ويراقبها بحكم صحيح، لئلا يعتمد على الرجاء وحده، دون حزن واتضاع في الله، ولا يعتمد على الاتضاع والبكاء، إلا إذا تتبعها بالرجاء والفرح الروحي.

📖 ٧٥- يوجد اتضاع كاذب يأتي من الكسل والإهمال، ومن التبكيت القوى للضمير. هؤلاء الذين يقتنونه كثيراً ما يعتبرونه كباعث للخلاص. ولكن في الواقع ليس الأمر كذلك، لأن هذا الاتضاع لا تلازمه الدموع التي تجلب الفرح.

📖 ٧٦- يأتي الحزن أيضاً بدون اتضاع روحي، وهؤلاء الذين يحزنون هكذا يظنون أن هذا الحزن يطهرهم من الخطية، لكنهم يخدعون أنفسهم، لأنهم محرومون من الفرح المولود سرا من الروح القدس في الخزانة، مخزن النفس، ولا ينفذون بصلاح لله، ولذلك يكونون عرضة للاشتعال غضبا، ويعجزون عن كره العالم وما فيه تماما.

📖 هؤلاء الذين لا يبتعدون تماما عن العالم، ولا يكرهونه من كل قلبهم، لا يستطيعون مطلقا أن يحصلوا على الرجاء الثابت في

الخلاص، مثل هؤلاء الناس سيدفعهم الشك دائما هنا وهناك، لأنهم لا يبنون رجاءهم على صخر صلد.

📖 ٧٧- **للحزن عمل مزدوج:** مثل ماء الدموع الذي يطفئ نار الانفعالات، ويطهر النفس من أرجاسها.

📖 أيضاً بواسطة وجود الروح القدس الذي يشبه نارا، يبعث الحياة، ويعطى الحرارة واللهب في القلب، ويدفعه إلى محبة الله، والاشتياق إليه. راقب ذاتك، وتعلم نتيجة الاتضاع، والحزن في نفسك، تر كيف تستفيد منها كل ساعة.

📖 لا يزال المبتدئون يستفيدون منهما فائدة أخرى، هي الاعتزال عن كل القلاقل الدنيوية، والتعلق، وعن جميع الناس، الوالدين والأقارب والأصدقاء، والتحرر من كل الاهتمامات ومن التعلق بجميع الأشياء المال، وكل شيء آخر، ليس فقط إلى آخر خيط، بل حتى من جسم الإنسان ذاته.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٥٣ - ١٥٥

📖 ١٦٢- أينما يوجد الاتضاع العميق، توجد أيضاً الدموع الغزيرة، وأينما توجد الدموع الغزيرة، هناك أيضاً يأتي الروح القدس.

📖 عندما تأتى نعمة الروح القدس، يمتلئ الإنسان الواقع تحت تأثيرها بالطهارة والقداسة، وعندئذ يرى الله. وأيضا ينظر الله إليه، لأن الرب يقول "إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي" {إش٦٦: ٢}.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٨٨

📖 ١٧١- بعض الأشياء نعدها بأنفسنا "في حياة الخلاص" والبعض الآخر يعطيه لنا الله. كلما تزداد طهارة بالعرق والجهود الذاتية من أجل الله، تزداد ضياء وإشراقا بالنور الإلهي، ونزداد تطهيرا بسكب

دموعنا، ونقدم دموعنا الغزيرة من أنفسنا، ونتقبل من اللـه مكانها نور انسحاق القلب.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ الباب الرابع ـ سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة ١٩١



كتاب الدموع
قداسة البابا شنودة الثالث

قمة الدموع ـ تطويب الدموع

١ـ قمة الدموع:

أسمى صورة للدموع، هي قول الإنجيل في قصة إقامة لعازر من الموت: "بكى يسوع" {يو ١١: ٣٥}. إنها أقصر آية في الكتاب المقدس. ولعلها في نفس الوقت من أعمق الآيات في الكتاب المقدس. ولعلها مثلها في التأثير: بكاء السيد المسيح على أورشليم {لو ١٩: ٤١}

إنها دموع أعمق من كل تأملاتنا. فيها الحب، والتأثر، ورقة القلب وحساسيته، والحنو، وربما الحزن أيضاَ. وفيها معان أخرى لا أعرفها. من هنا يستطيع أن يصل إلى أعماقها؟!

٢ـ تطويب الدموع:

طوب السيد المسيح البكاء. فقال: "طوباكم أيها الباكون الآن، لأنكم ستضحكون" {لو ٦: ٢١} "طوبى للحزانى الآن، لأنهم سيتعزون" {متى ٥: ٤}.

📖 وقيل في المزمور {١٢٦: ٥}. " الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج"، وقيل في سفر الجامعة لسليمان الحكيم: " الذهاب إلى بيت النوح، خير من الذهاب إلى بيت الفرح"، "قلب الحكماء في بيت النوح، وقلب الجهال في بيت الفرح" {جا٢،٤:٧}. وأيضا: "الحزن خير من الضحك. لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب" {جا ٧: ٣}.

📖 مما يدعو إلى الملاحظة أن الكنيسة تدعونا إلى البكاء على خطايانا في كل يوم، في صلاة الهجعة الثانية من صلاة نصف الليل، حيث نقول: "أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت في القديم للمرأة الخاطئة"، "وجعلني مستحقا أن أبل قدميك اللتين أعتقتاني من طريق الضلالة، وأقدم لك طيباً فائقاً، وأقتنى لي عمراً نقياً بالتوبة".

📖 وهكذا تضع أمامنا إنجيل المرأة الخاطئة {لو ٧}. لنصليه كل يوم في نصف الليل، ونأخذ درساً من دموعها وتوبتها. ويقف كل منا ليصلى أمام الله ويقول: "أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة، لأبكى على كبريائي، وغضبى، وقسوتي، ونجاستي، وتقصيري، وأخطائي باللسان، والقلب، والفكر.

📖 وعلى عدم محبتي لك، وللناس، وقلة جديتي في روحياتى، وقلة حرصي على حفظ وصاياك. وأعطني أيضاً ينابيع دموع كثيرة، لأبكى على عدم محبتي. وإن الله يطلب منا أن نبكى باستمرار، ويقول لنا في سفر يوئيل النبي: "ارجعوا إلى بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح" {يؤ ٢: ١٢}. ويقول في سفر ملاخي النبي: "مغطين مذبح الرب بالدموع، والصراخ" {ملا ٢: ١٣}.

📖 نحن محتاجون إلى هذه الدموع، طالما نحن على الأرض، يكفى أن ربنا يسوع المسيح قال في تطوبياته: "طوباكم الباكون الآن" {لو٦: ٢١}. وعبارة {الآن} تعنى هنا على الأرض. وعبارة "لأنكم تتعزون" تعنى هناك في السماء. لأن الدموع من ثمارها العزاء.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧ ـ ١٠

الفصل الأول

أنواع من الدموع

١ـ دموع الصلاة	٢ـ دموع التوبة والندم	٣ـ دموع اليأس
٤ـ دموع الفراق	٥ـ دموع التأثر	٦ـ دموع المشاركة
٧ـ دموع والفرح	٨ـ دموع مرفوضة	٩ـ دموع الشهوة

ما أكثر أنواع الدموع في الحياة البشر

تختلف بحسب أسبابها، ونذكر هنا من بين هذه الأنواع

١ـ دموع الصلاة:

وهي كثيرة جداً في الكتاب المقدس، وفى سير القديسين، سنذكرها حينما نتحدث بالتفصيل عن دموع القديسين. وسببها الحب، والتأثر، وعمق الصلاة التي تصدر من القلب، مع مشاعر الاشتياق، والحنين إلى الله، أو عمق في الطلب.

ومن أشهرها دموع داود النبي الذي قال للرب في مزاميره "أنصت إلى دموعي" {مز ١١٩}، ومن أمثلتها دموع حنة زوجة القانة، وقد ورد عن صلاتها أنها: "صلت إلى الرب، وبكت بكاء، ونذرت نذراً" {١ صم ١: ١٠، ١١} وأمثلة الدموع في الصلاة كثيرة جداً في الكتاب المقدس، وفى سير القديسين أيضاَ.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٣

٢ـ دموع الندم والتوبة:

من أمثلتها في الكتاب

١ـ دموع المرأة الخاطئة التي بللت قدمي المسيح بدموعها {لو ٧: ٣٨}، كانت تبل قدميه بالدموع، وتمسحهما بشعر رأسها. وقال السيد

المسيح عنها إنها "غسلت رجلي بالدموع" وأنها "أحبت كثيراً، وغفر لها الكثير". وفضلها الرب على الفريسي الذي يشعر ببره. لم يكن لديها كلام تقوله، أو تجرؤ أن تقوله، فتكلمت دموعها.

📖 الإنسان الشاعر بخطاياه، النادم عليها، يخجل أن يتكلم. وتضغط مشاعر الندم، والحزن في قلبه، على منابع الدمع في عينيه، فيبكى. ويكون بكاؤه أصدق تعبيراً من أي كلام.

📖 ربما يقول إنسان كلاماً بدون مشاعر، أما البكاء فهو مشاعر بدون كلام. وهي مشاعر صادقة معبرة. ومن أمثلة دموع التوبة أيضاَ:

📖 ٢- دموع داود النبي في توبته:

📖 وهذه ما أعمقها في قوله: "تعبت في تنهدي. أعوم كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" {مز ٦: ٦}، وقوله أيضاَ: "أبكيت بصوم نفسي، جعلت لباسي مسحاً" {مز٦٩: ١٠،١١}، "من صوت تنهدي، لصق عظمى بلحمي. أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بالدموع" {مز ١,٢: ٥،٩}. ولعل من الأمثلة البارزة لدموع الندم والتوبة:

📖 ٣- دموع بطرس الرسول بعد إنكاره:

📖 وفى ذلك يقول عنه الكتاب أنه: "خرج إلى خارج، وبكى بكاء مراً" {متى ٢٦: ٧٢}. وهنا نجد البكاء مصحوباً بمرارة في القلب، وفى الدموع، ومن أمثلة دموع التوبة أيضاَ:

📖 ٤- دموع الشعب كله في توبة عامة:

📖 وعنها يقول يوئيل النبي: "ولكن الآن يقول الرب: ارجعوا إلى بكل قلوبكم، وبالصوم، والبكاء، والنوح. مزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم"، "ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح، ويقولوا أشفق يا رب على شعبك، ولا تسلم ميراثك للعار" {يوئيل ٢: ١٢، ١٣، ١٨}.

📖 وقد بكى الشعب كله بكاء عظيماً أيام عزرا الكاهن بسبب خطاياهم، وصلى عزرا واعترف، وهو باك وساقط أمام بيت الله {عز ١: ١}
📖 وبالمثل يقول القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس موبخاً: "لم تنوحوا حتى يرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل" {اكو٥: ٢}.
📖 ويقول القديس يعقوب الرسول: "نقول أيديكم أيها الخطاة اكتئبوا، ابكوا، ونوحوا" {يع ٤: ٨، ٩}. ويشرح ملاخي النبي هذا الأمر فيقول: "مغطين مذبح الرب بالدموع، والبكاء، والصراخ" {ملا ٢: ١٣}.

📖 ومن أمثلة البكاء بسبب الخطية: بكاء الذين طعنوا المسيح، حينما يرونه في مجيئه الثاني: وفى ذلك يوق سفر الرؤيا: هوذا يأتي على السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه، وينوح علية جميع قبائل الأرض" {رؤ ١: ٧}. ولكن النوح في هذا المثال، لا نضعه تحت عنوان التوبة، وقد لا يتصف بالندم أيضاً. ربما تكون دموع الحزن، والألم، والحسرة، بغير أمل.

الدموع في الحياة الروحية - قداسة البابا شنودة الثالث - صفحة ١٦ - ١٧

📖 ٣- دموع الحزن:

📖 ولعل من أبرزها في الكتاب: دموع الحزن على الخطاة، الذين هلكوا أو رفضهم الرب. ومن أمثلة ذلك: بكاء صموئيل النبي على شاول الملك. وفى ذلك يقول الكتاب: "وناح صموئيل على شاول" {١ صم ١٥: ٣٥}، " فقال له الرب: حتى متى تنوح على شاول، وأنا قد رفضته؟! {١ صم ١٦: ١}.
📖 وبالمثل بكى بولس الرسول على الخدام الذين سقطوا وهلكوا، فقال: "لأن كثيرين من الذين كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك " {في ٣: ١٨، ١٩}.
📖 ويذكر سفر الرؤيا البكاء على بابل، المدينة العظيمة الخاطئة: فيقول: "وسيبكى وينوح عليها ملوك الأرض، الذين زنوا تنعموا

معها، حينما ينظرون دخان حريقها، واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها، قائلين: ويل ويل" {رؤ ١٨: ٩،١.}.

📖 **لعلنا نذكر أيضاً بكاء داود على أبشالوم؟!**

📖 إنه حقاً حزن على ابنه الذي مات، ولكن هناك نقطة حساسة وهي، أنه مات هالكاً. مات خائناً لأبيه، وثائراً علية، ومحارباً ضده، وزانياً مع نسائه. إن داود لم يبك على ابنه الذي ولدته اِمرأه أوريا، وقال: "هل أقدر أن أرده بعد؟! أنا ذاهب إليه، وأما هو فلا يرجع إلى" {٢صم ١٢: ٢٣}. أما على أبشالوم فبكى. لقد مات هالكاً، فلن يذهب إليه أبوه. بل أنفصل عنه إلى الأبد.

📖 ومن أمثلة البكاء بسبب الحزن بكاء داود وكل الشعب، لما غزا العمالقة مدينة صقلع واحرقوها، وسبوا نساءها. هنا يقول الكتاب: "فرفع داود والشعب الذين معه أصواتهم، وبكوا حتى لم تبق لهم قوة للبكاء "{١صم ٣.: ١-٤}. موقف مؤثر حقاً. وبكاء وصل إلى نهايته القصوى، حتى لم تبق لهم قوة للبكاء.

📖 ومن أمثله بكاء الحزن، سفر مراثي إرمياء النبي كله. إنه سفر البكاء والدموع. يدخل في بكاء الحزن، ولكنه الحزن بسبب الخدمة، وبدافع من الغيرة المقدسة. ويصلح أيضاً أن يرثى به الإنسان ذاته.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ١٨ ـ ٢٠

📖 ٤ـ دموع الفراق:

📖 ليس سهلا على قلوب ارتبطت بالحب، أن تفترق، وبخاصة لو كان فراقاً بلا عودة إلى اللقاء، على الأقل على هذه الأرض. ولذلك نجد في هذا المجال أمثلة لقديسين وقديسات بكوا، بسبب هذا الفراق، ومن بين هذه الأمثلة: بكاء أبينا إبراهيم على سارة. وفى ذلك يقول الكتاب بعد موت سارة "فأتي إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليه " {تك ٢٣: ٢}

📖 كذلك قيل عن مريم أخت لعازر، بعد موته: "إنها ذهبت إلى القبر لتبكي هناك" {يو ١١: ٣١}. قد بكت مريم المجدلية عند قبر السيد المسيح. وقيل عنها "أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي" {يو ٢٠: ١١}. حتى أن الملاكين قالا: "يا إمراه، لماذا تبكين؟ ".

📖 ونفس العبارة قالها لها السيد المسيح {يو ٢٠: ١٣، ١٥}.

📖 وكانت أرملة نايين تبكي على ابنها الميت. "فلما رآها الرب تحنن عليها، وقال لها لا تبكي" {لو ٧: ١٣}.

📖 بل أن الشعب كله، بكى، لما قال لهم القديس بولس: "لا ترون وجهي بعد". وهكذا يقول سفر أعمال الرسل: "وكان بكاء عظيم من الجميع، ووقعوا على عنق بولس يقبلونه، متوجعين ولا سيما من الكلمة التي قالها إنهم لن يروا وجهه أيضاً" {أع ٢٠: ٣٧، ٣٨}.

📖 لكل هذا أنا أتعجب من بعض الآباء الكهنة، أو الشمامسة، أو الأراخنة، الذين ينتهرون النساء بعنف، حينما يبكون في جناز!! هذا البكاء شيء طبيعي، ومشاعر إنسانية من الصعب كتمانها. إنما ينبغي أن يكون في حدود المعقول، ولا يتحول إلى صراخ مستمر، يعطل الصلاة في الكنيسة.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٠ ـ ٢٢

📖 ٥ـ دموع التأثر:

📖 وتبدو هذه واضحة جداً، في لقاء يوسف الصديق بأخوته وبأبيه بعد سنوات من الفراق، حينما سمع يوسف إخوته يقولون بعضهم لبعض "حقاً إننا مذنبون إلى أخينا، الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع". يقول الكتاب عن يوسف "فتحول عنهم وبكى" {تك ٤٢: ٢٤}.

📖 وأيضاً حينما أعلن نفسه لهم، يقول الكتاب عنه إنه "صرخ: أخرجوا كل إنسان عنى. فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف إخوته

بنفسه. فأطلق صوته بالبكاء. وقال يوسف لأخوته: أنا يوسف. أحي أبى بعد؟ " {تك ٤٥: ١ – ٣}.

📖 وكذلك حينما التقى بأخيه بنيامين، يقول الكتاب: "ثم وقع على عنق بنيامين أخيه وبكى. وبكى بنيامين على عنقه. وقبل جميع إخوته وبكى عليهم" {تك ٤٥: ١٤، ١٥}.

📖 وبنفس التأثر، وبنفس البكاء، كان لقاء يوسف الصديق مع أبيه يعقوب. يقول الكتاب في ذلك: "فشد يوسف مركبته، وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه، إلى جاسان". "ولما ظهر له، وقع على عنقه، وبكى على عنقه زماناً " {تك ٤٦: ٢٩}. إنها مشاعر إنسانية حساسة.

📖 ولعلنا على نفس القياس الإنساني. نذكر لقاء يعقوب بابنة خاله راحيل، يقول الكتاب في ذلك: "وقبل يعقوب راحيل، ورفع صوته وبكى. وأخبر يعقوب راحيل أنه أخو أبيها، وأنه إين رفقة" {تك ٢٩: ١١، ١٢}.

📖 لقد تأثر أن الرب قد وفقه إلى بيت خاله، وأنه رأى ابنة خاله أمامه بتدبير إلهي. فرفع صوته وبكى. إنها مشاعر إنسانية. يمكن بها أن يبكي الإنسان تأثرا في حالة اللقاء، كما أيضاً في حالة الفراق.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٣ ـ ٢٤

📖 ٦ـ دموع المشاركة:

📖 وهي دموع لأجل الآخرين، أو مع الآخرين، وعنها يقول الرسول: "بكاء مع الباكين" {رو١٢: ١٥}. ولهذا النوع أيضاً أمثله عديدة في الكتاب المقدس، منها قول القديس يوحنا الإنجيلي: "وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما {يو ١١:١٩}، ولعل أبرع وأعمق ما قيل في هذه المناسبة: "فلما رآها – أي مريم – تبكي، واليهود الذين جاءوا معها يبكون. بكى يسوع" {يو ١١: ٣٥}.

📖 ولعل من الأمثلة الأخرى في هذا المجال: بكاء بنات أورشليم، لما رأين السيد المسيح يساق إلى الصلب إذ " تبعه جمهور كثير من الشعب، والنساء أيضاً اللواتي كن يلطمن أيضاَ، وينحن علية" {لو ٢٣: ٢٧}.

📖 من الأمثلة أيضاً بكاء الأمهات على أبنائهن في أية ضيقة: فلما فرغ الماء من هاجر وابنها، طرحت الولد تحت احدى الأشجار ومضت، وجلست مقابله بعيداً. وقالت لا انظر موت الولد. ورفعت صوتها وبكت {تك ٢٢: ١٥، ١٦}

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٥ ـ ٢٦

📖 ٧ـ دموع الفرح:

📖 ومن أمثلة ذلك، بكاء الشعب عند إعادة بناء الهيكل بعد السبي، في أيام زربابل. ويقول في ذلك سفر عزرا الكاهن: "وكثيرون من الكهنة، واللاويين، ورؤوس الآباء الشيوخ، الذين رأوا البيت الأول، بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم. وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح. ولم يكن الشعب يميز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب" {عز ١٣:١٢:٣}.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٦

📖 ٨ـ دموع مرفوضة:

📖 ولعل من أمثلتها دموع عيسو التي قال عنها الرسول: "لئلا يكون أحد مستبيحاً كعيسو، الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته. فإنكم تعلمون أنه أيضاَ لما أراد أن يرث البركة، رفض ن إذ لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع" {عب ١٢: ١٦، ١٧}.

📖 دموع عيسو كانت نوعاً آخر. كانت دموع العجز والقهر. أو كانت دموع الغيظ والحقد على أخيه، ودموع اليأس من نوال البركة: "قال عيسو لأبيه: لك بركة واحدة فقط يا أبى. باركني أنا أيضاَ يا أبى.

ورفع صوته وبكى" {تك ٢٧: ٣٨}. وقيل إنه لما سمع ببركة يعقوب: "صرخ صرخة عظيمة، ومرة جداً" {تك ٢٧: ٣٤}.

البركة العظمى التي نالها يعقوب، أن السيد المسيح يأتي التي نالها يعقوب، وبنسله تتبارك جميع قبائل الأرض {تك ٢٨: ١٤}. ولم يكن ممكناً أن يأتي المسيح من عيسو ويعقوب معاً.

لذلك عبارة "ألك بركة واحدة يا أبى"؟! تعنى من جهة هذا الموضوع، جهلاً تاماً بالبركة ونوعها!! وكانت صرخته صرخة غيظ وقهر، وبكاؤه بكاء عجز، ويأس.

ومن امثله هذا البكاء اليأس المرفوض أيضاَ: بكاء الهالكين في الأبدية. إذ يقول الكتاب عنهم إنهم: "يطرحون في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء، وصرير الأسنان" {متى ٨: ١٢}.

ويقول أيضاً عن نهاية العالم: "يرسل أبن الإنسان ملائكته، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر، وفاعلي الآثم، ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " {متى ١٣: ٤١، ٤٢}. ونفس الكلام يتكرر في {متى ٢٤: ٥١}، وفى {لو ١٣: ٢٨}. فما جدوى مثل هذا البكاء؟

الدموع في الحياة الروحية - قداسة البابا شنودة الثالث - صفحة ٢٧ - ٢٨



٩- دموع الشهوة:

إنها دموع تضيف خطأ جديداً، إلى خطيئة الشهوة، فتصبح خطية مركبة: من أمثلتها خطأ الشعب، حينما بكى في البرية مشتهياً أن يأكل لحماً!! وفى ذلك يروى سفر العدد:

"واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة. فعاد بنو إسرائيل أيضاَ وبكوا. وقالوا من يطعمنا لحماً؟! قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً، والقثاء، والبطيخ، والكرات، والبصل، والثوم" {عد ١١:

٤،٥}. وقال موسى للرب: "من أين لي لحم، حتى أعطى جميع هذا الشعب؟ لأنهم يبكون على قائلين: "أعطنا لحمنا لنأكل" {عد ١١: ١٣}.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٩

الفصل الثاني

الدموع فى الخدمة

١ـ البكاء في الخدمة	٢ـ أسباب البكاء في الخدمة

١ـ البكاء في الخدمة:

لعل من أشهرها دموع إرمياء النبي. هذه التي سجلت في سفر كامل من الأسفار المقدسة دعي "مراثي أرميا". والذي يشمل صلوات كثيرة، كلها تنهد وحسرة، كأن يقول: "أنظر يا رب ماذا صار لنا. وانظر إلى عارنا. قد صار ميراثنا للغرباء. صرنا بلا أب، أمهاتنا كأرامل" {مرا ٥: ١-٣}. ويقول أيضاَ: "مضى فرح قلبنا. صار رقصنا نوحا. من أجل هذا حزن قلبنا. من أجل هذه أظلمت عيوننا. لماذا تنسانا إلى الأبد وتتركنا طول الأيام. أرددنا يا رب فنرتد. جدد أيامنا كالقديم. هل كل الرفض رفضتنا؟!" {مرا ٥: ١٥ ـ٢٢}

ويشرح في هذا السفر بكاء مملكة يهوذا فيقول: "على هذا أنا باكية. عيني تكسب مياهاً. لأنه قد ابتعد عنى المعزى، رد نفسي" {مرا١: ٦}.

"كلت من الدموع عيناي. غلت أحشائي" {مر ٢: ١١}.

"سكبت عيناي ينابيع ماء على سحق بنت شعبي. عيني تسكب ولا تكف بلا انقطاع، حتى يشرف وينظر الرب من السماء" {مر٢: ٤٩}.

هنا بكاء بلا انقطاع، وبلا عزاء، حتى تعبت العين من البكاء، وشعور بان الله قد ترك النفس، أو نسيها، أو رفضها!! وصلاة. مع صلاة إليه أن يرجع.

٢ـ ولعل من الأمثلة أيضاَ بكاء المسبيّن عند أنهار بابل:

📖 وفى ذلك يقول المرتل: "على أنهار بابل هناك جلسنا، فبكينا عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا قيثاراتنا. لأن هناك سألنا الذين سبونا أقوال التسبيح. كيف نسبح تسبحة الرب في ارض غريبة؟! {مز ١٣٦}

📖 ٣- ومن الأمثلة أيضاً بكاء نحميا:

📖 لما سمع أخبار سيئة عن أورشليم. فقال: فلما سمعت هذا الكلام، جلست وبكيت، ونحت أياما، وصمت، وصليت أمام إله السماء" {نح ١: ٤}. وفى صلاته اعترف بخطاياه، وخطايا كل الشعب، وطلب من الرب رحمة، مذكراً إياه بمواعيده للآباء.

📖 ٤- ونفس الوضع بالنسبة إلى عذرا الكاهن:

📖 لما عرف خطايا الشعب. فبكى وأبكى الشعب معه، وفى ذلك يقول الكتاب: "فلما صلى عزرا، واعترف وهو باك، وساقط أمام بيت الله، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً من الرجال والنساء والأولاد، لأن الشعب بكى بكاء عظيما" {عز ١: ١}

📖 وفى غير المراثي، يقول أرميا النبي في سفره: "ياليت رأسي ماء، وعيني ينبوع دموع، فأبكى نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي" {أر٩: ١}

📖 ٥- وقد بكى دانيال النبي أيضاً من جهة سنوات السبي:

📖 وقال في ذلك "فوجهت وجهي إلى الله السيد طالباً بالصلاة والتضرعات، بالصوم، والمسح، والرماد. وصليت إلى الرب إلهي واعترفت وقلت. أخطأنا وأثمنا، وعملنا الشر، تمردنا وحدنا عن وصاياك وأحكامك" {دا ٩: ٣ ـ٥}.

📖 "في تلك الأيام، أنا دانيال كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام، لم آكل طعاماً شهياً، ولم يدخل في فمي لحم، ولا خمر، ولم أدهن، حتى تمت

ثلاثة أسابيع أيام" {دا١ - ٢ و٣}. وهنا نرى البكاء مصحوباً بالصلاة، والصوم، والزهد، والاعتراف بالخطايا.

📖 ٦- من أمثلة البكاء في الخدمة بكاء ميخا النبي "من أجل إثم يعقوب، ومن أجل خطية بيت إسرائيل" {مي ١: ٥}. وفى هذا يقول: "ومن أجل ذلك أنوح وأولول. أمشي حافياً وعرياناً. وأصنع نحيباً كبنات آوى، ونوحاً كرعال النعام. لأن جراحاتها عديمة الشفاء. لأنها قد أتت إلى يهوذا" {مي ١: ٨، ٩}

📖 ٧- ولعل في قمة البكاء في الخدمة بكاء ربنا يسوع المسيح على أورشليم: وفى ذلك يقول الكتاب: "وفيما هو يقترب، نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً فإنه ستأتي أيام، ويحيط بك أعداؤك بمترسة. ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر" {لو ١٩: ٤١: ٤٤}

📖 **٨ - ومن أمثلة البكاء أيضاً بكاء بولس الرسول في الخدمة:**

📖 فإنه يقول لكهنة أفسس: "أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا، كيف كنت معكم كل الزمان، اخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة، وبتجارب أصابتني من مكايد اليهود".

📖 "لذلك اسهروا، متذكر انى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً، لم أفتر أن أنذر بدموع كل أحد" {أع ٢٠: ١٩، ٣١}. وحتى في رسائله يقول لأهل كورنثوس: "لأني من حزن كثير وكآبة قلب، كتبت إليكم بدموع كثيرة، لا لكي تحزنوا، بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي، ولاسيما من نحوكم" {٢ كو٢: ٤}.

📖 **٩- وبالمثل كان تلاميذ القديس بولس في بكائهم.**

📖 فهو يرسل إلى تلميذه تيموثاوس ويقول له: "أذكرك بلا انقطاع في طلباتي ليلاً ونهاراً، ومشتاقاً أن أراك، ذاكراً دموعك " {٢تى ١: ٤}.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٣٢ ـ ٣٧

📖 ٢ـ أسباب البكاء في الخدمة:

📖 القلب الحساس من حالة الناس المخدومين. يتأثر إذ يتذكر خطاياهم. كيف ضعفوا، كيف جرحوا قلب الله. ويتأثر بنتائج الخطية، وما جلبته من متاعب، ومن ويلات، أو بما سوف تجلبه من غضب الله.

📖 بل قد يتأثر فيما هو يوبخ على الخطايا، متذكراً ضعفه هو أيضاَ، وأنه ما كان يريد أن يوبخ، فينذر بدموع. وقد يبكي في الخدمة، طالباً معونة الله، أو طالباً رحمته ومغفرته. أو يبكي وهو يعرض على الله في صلاته، ما وصل إليه الأمر من ضياع.

📖 يبكي الإنسان في الخدمة شاعراً بضعفه، ومتوسلاً إلى الله أن يتدخل، لأن الأمور لا تحل بدونه. أو قد يبكي من شده المشاكل، ومن ضغط العدو عليه، أو من شماته الأعداء، وتعييرهم. كما قال داود النبي: "صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً، إذ قيل لي كل يوم اين إلهك؟! هذه أذكرها فاسكب نفسي على" {مز ٤٢: ٣، ٤}.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٣٧ ـ ٣٨

الفصل الثالث

القديسون والدموع

📖 ١ـ القديس أرسانيوس:

📖 من القديسين الذين اشتهروا كثيراً بالبكاء. حتى قيل إن رموش عينيه تساقطت من كثرة البكاء. وتكون أخدودان {حفرتان} على خده من كثرة البكاء. وكان في الصيف يبلل الخوص بدموعه. وكان يضع على ركبتيه قطعة من القماش تسقط عليها دموعه.

وفى ساعة موته بكى كثيراً، فقال لـه تلاميذه "حتـى أنـت يـا أبانـا تخاف من هذه الساعة؟ " فقال لهم: إن فـزع هـذه السـاعة مـلازم لـي منذ دخلت إلى الرهبنة.

إن كان القديس العظيم أرسانيوس يبكي هكذا، فماذا نقول نحـن عن أنفسنا؟ وماذا نقول عن فزع تلك الساعة الذي كـان يلازمـه؟ ويـلازم من؟ يلازم أرسانيوس العظيم، مثـال الوحـدة، والصـمت، فـي بسـتان الرهبان، الذي كان البابا ثاوفيلس يشـتهى أن يقابلـه، وكـان القديسـون يقولون له "لماذا تهرب منا يا أبتاه؟ " فيجيـب " علـم الله إننـي أحبكم جميعاً. ولكنني لا أستطيع أن أتكلم مع الله والناس في نفس الوقت".

أرسانيوس العظيم الذي كان يقف للصلاة وقت الغـروب، والشـمس وراءه، ويظل واقفاً يصلى حتى تشرق أمامه من جديد، مقضـياً الليـل طوله في الصلاة.

أرسانيوس المتضـع، معلـم أولاد الملـوك، الـذي كـان يستشـير ذلـك المصري الأمي، ويقول له إنه لم يعرف بعد الفا فيتا التي يتقنهـا ذلـك المصري. بل يقول أيضاً إنه تعلم اللاتينية واليونانية، ولكنه لم يعرف بعد كيف ينقى الفول مع رهبان الإسقيط.

أية خطايا فعلها القديس أرسانيوس حتى كان يبكي ويفـزع مـن تلـك الساعة؟ هل بعد كل هـذا نسـرع نحـن إلـى العزاء والفـرح مـن مبـدأ الطريـق، ونتبـاهى بـأن خطايانـا قـد غفـرت ونبحـث عـن المواهـب؟ ونطالب بنصيبنا في الميراث؟ وننسى أنفسنا.

إن الدموع تحتاج إلى تواضع قلب، ويناسبها جداً أن يعرف الإنسان ذاته، ويحاسب نفسه ويلومها. قيل إنـه لمـا حانـت وفـاة القـديس البابـا ثاوفيلس، قال: "طوباك يا أنبا أرساني، لأنك بكيت طـول حياتـك مـن أجل هذه الساعة".



📖 ٢- أنبا بيمن المتوحد:

📖 وعندما سمع أنبا بيمن أن القديس أرسانيوس قد تنيح، قال: "طوباك يا أنبا أرسانيوس لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم. لأن الذي لا يبكي على نفسه في هذا العالم، لابد سيبكى إلى الأبد في العالم الآخر. أما بكاؤه ههنا فباختياره. ولكن هناك فبسبب ما يناله من عقاب. ولكن من الحال أن يفلت إنسان من البكاء هنا وهناك"

📖 صدق داود النبي الذي اختبر الدموع جيداً في حياته فقال: "الذين يزرعون بالدموع، يحصدون بالابتهاج" {مز ١٤٥}.

📖 ٣- القديس ايسيذورس قس القلالي:

📖 من أشهر الأمثلة أيضاَ في الدموع القديس ايسيذورس قس القلالي، وكان تحت إشرافه ثلاثة آلاف راهباً. وكان يرى رؤى. وكانت الشياطين تخافه، وتهرب منه، وبسهولة كان يخرج الشياطين.

📖 وفلا إحدى المرات ظهر له الشيطان وقال له "أما يكفيك أننا لا نستطيع أن نمر على قلايتك، ولا على القلاية التي إلى جوار قلايتك. وأخ واحد كان لنا في البرية، جعلته يعتدى علينا بصلاته في النهار والليل. ومع ذلك كان القديس ايسيذورس يبكي بدموع غزيزه. وكان يجهش بالبكاء بصوت عال، لدرجة أن تلميذه في الغرفة المجاورة سمعه يبكي، فدخل عليه وقال له لماذا تبكي يا أبى؟

📖 فأجابه القديس: إنني يا أبني ابكي على خطاياي

📖 فقال له التلميذ: حتى أنت يا أبانا، لك خطايا تبكي عليها؟

📖 فأجابه: صدقني يا أبني، لو كشف الله لي كل خطاياي ما كان يكفي لو اجتمع ثلاثة أو أربعة معي للبكاء عليها.

📖 هؤلاء القديسون كانت لهم حساسية شديدة من جهة أن الخطية خاطئة جداً، وأنها تجرح قلب الله المحب

📖 ما كانوا يفكرون في عقوبة الخطية، إنما كانوا يفكرون في مشاعر الله، وأنهم لم يرضوه بعد، على الرغم من السمو العظيم الذي وصلوا

إليه في الحياة الروحية. ويرون أن هذا {التقصير}، إذا ما قيس بالكمال الذي يتطلعون إليه، هو الخطية التي يبكون عليها بدموع.

📖 ٤- القديس باخوميوس أب الشركة:

📖 ومن القديسين الذين بكوا بدموعهم القديس باخوميوس أب الشركة. حتى أن تلاميذه – بعد صلاته – وجدوا الأرض التي كان واقفاً عليها مبللة بالدموع.

📖 ٥- القديس مكاريوس الكبير:

📖 وكان القديس مكاريوس الكبير مشهوراً أيضاَ بالدموع.

📖 ولما قربت أيام انتقاله، سأله الآباء أن يأتي إليهم ليتباركوا منه قبل رحيله، بدلاً من أن ينتقل كل سكان الجبل إليه. فلما جاءهم، تجمعوا حوله، وطلبوا منه كلمة منفعة.

📖 فبكى القديس وقال لهم: "فلنبك يا إخوتي، ولتفض عيوننا بالدموع، قبل أن نذهب إلى المكان الذي فيه تحرق دموعنا أجسادنا".

📖 فبكوا كلهم وسقطوا على وجوهم قائلين "صل عنا أيها الأب".

📖 ٦- القديس بفنتيوس:

📖 ومن الذين اشتهروا بالدموع: القديس بفنتيوس تلميذ وخليفة القديس مكاريوس الكبير: وكان منذ شبابه المبكر نامياً في حياة القداسة، وكان كل الآباء معجبين به ويحبونه، حتى أنه أصبح رئيس الإسقيط بعد القديس مكاريوس.

📖 حكى هذا القديس لأولاده فقال: "حينما كنت صبياً، وجدت خيارة وقعت على الأرض من الجمالين، فأخذتها وأكلتها. وكلما تذكرت هذه القصة ابكي".

📖 حدث هذا وهو صغير، وترهب، ونما في النعمة، وصار رئيساً للإسقيط، وكان يخرج الشياطين، وكان البابا ثاوفيلس يشتهى سماع كلمة منفعة من فمه. ومع ذلك كلما يذكر تلك القصة يبكي.

📖 ليس البكاء هنا لكي يغفر له الرب خطية. فإن داود النبي قد بكى بعد أن غفر له الرب خطيته. بعد أن قال له ناثان النبي: "الرب نقل عنك خطيتك. لا تموت" {٢ صم ١٢: ١٣}.

📖 إن الإنسان الحساس لا يبكي فقط من أجل طلب المغفرة. إنما يبكي حزناً على نفسه كيف وصل إلى مستوى السقوط، وكيف أحزن الروح القدس الساكن فيه، وبكل جرأة كسر وصايا الله المحب، الذي خلقه على صورته ومثاله، ففقد هذه الصورة بخطاياه.

📖 سئل أحد القديسين عن الأمور التي يمكنها أن تبكيه.

📖 **١-** ساعة خروج روحي من جسدي.

📖 **٢-** ساعة وقوفي أمام الديان العادل.

📖 **٣-** ولحظة صدور الحكم على.

📖 هذه الأمور الثلاثة كانت باستمرار تشغل بال القديسين، وتكون مصدراً للدموع بالنسبة لهم. إنها أمور تتعلق بحرص الإنسان على أبديته. وتذكار الموت إذن يصاحبه دائماً تذكار الدينونة. وتذكار الدينونة يجلب الدموع، وبخاصة إن كان يصحبه تذكر الخطايا والبكاء عليها.

📖 ما أصعب أيضاَ عبارة: "يجازى كل واحد بحسب أعماله".

📖 وما أصعب أيضاَ عبارة: "وأعمالهم تتبعهم".

📖 ترى ما هو نوع هذه الأعمال التي تتبعنا! وهل نستحق الدموع؟!

📖 ومع تذكار الدينونة، يتذكر الإنسان أيضاَ عدل الله. ولهذا تضع الكنيسة أمامنا هذه الحقيقة كل يوم في صلاة النوم، حيث يقول المصلى "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعد

من أجلى كثرة ذنوبي". وفى تذكار الدينونة والخطية، نتذكر قول الرسول: "مخيف هو الوقوع في يدى الله الحى" {عب ١: ٣١}.
🕮 إن الخوف أيضاَ سبب جوهري من أسباب الدموع. ونقصد في مقالنا هذا الخوف لأسباب روحية، وليس الخوف بسبب أمور عالمية كما يحدث للبعض.

🕮 ابك يا أخي ههنا، لكي يمسح الرب كل دمعة من عينيك حينما تلقاه.
🕮 ولكنك إن لم تبك ههنا، فما الذي سيمسحه المسيح من عينيك في العالم الآخر؟!
🕮 إن الذي لا يبكي ههنا تتفجر من عينيه ينابيع دموع اليأس، التي لا يمسحها أحد، هي دموع لا تستطيع أن تطفئ النار المحيطة به. ما أكثر ما قاله الآباء القديسون عن البكاء والدموع.

🕮 **سال أخ القديس الأنبا بيمن قائلاً:** "ماذا افعل من جهة خطاياي؟"
🕮 فأجابه: "إن الذي يريد أن تمحى خطاياه، يستطيع هذا بالبكاء، لأن البكاء هو الطريق الذي علمنا إياه الكتاب. والآباء أيضاَ كانوا يبكون باستمرار. ولا يوجد طريق آخر غير هذا".

🕮 **سأل الأنبا نوح القديس مكاريوس:** "قل لي كلمة منفعة".
🕮 فقال له الشيخ: "اهرب من الناس ".
🕮 فسأله الأنبا نوح: "ماذا تعنى يا أبى بأن أهرب من الناس؟".
🕮 فقال له الشيخ: "اجلس في قلايتك، وابك على خطاياك".

🕮 **وقال الشيخ الروحاني:** "طوبى الذين احترقت خدودهم بدموع محبتك. فإن هذه الدموع تروى الأرض الناطقة التي احترقت بالنار، فتعطى ثمار الروح".

📖 هذه الدموع التي يجب أن يتصف بها كل إنسان في حياته: لها عوامل تقويها، وعوامل تضعفها. فما هي هذه وتلك؟

الدموع في الحياة الروحية - قداسة البابا شنودة الثالث - صفحة ٤٠ - ٤٩

الفصل الرابع

مسببات الدموع

١- الرقة والحساسية	٢- تفاهة العالم	٣- تذكر الخطايا	٤- التجارب والضيقات
٥- تذكار الموت	٦- الفرح والتأثر	٧- الصلاة	٨- الشعور بالعجز
٩- الشعور بالتخلي	١٠- الشماتة		

📖 هناك دوافع كثيرة تسبب الدموع، بعضها داخلي، في القلب والفكر والشعور، بل وفى طبع الإنسان ذاته، وبعضها عوامل خارجية تختص بالظروف والملابسات التي تحيط بهذا الباكي. وسنحاول أن نتكلم عن هذه وتلك بقدر الإمكان. ونذكر حالياً منها:

📖 ١- الرقة والحساسية:

📖 الإنسان الرقيق الإحساس، دموعه سهلة وقريبة. أما الشخص القاسي، الشديد القلب، فدموعه عزيزة، ومن الصعب أن يبكي. وإن بكى هذا الشخص في يوم ما، فلابد أن يكون السبب الخارجي قوياً جداً وخطيراً، بحيث لم يستطع طبع هذا الإنسان أن يقاومه.

📖 لذلك نجد أن الدموع عند المرأة قريبة جداً، أكثر مما عند الرجل. لأن المرأة أكثر من الرجل بطبيعتها. ولكن إذا بكى الرجل، تكون دموعه أكثر عمقاً، وأشد تأثيراً.

📖 كذلك إن بكى الطفل، أو الصبي، يكون هذا شيئاً طبيعياً، شيئاً عادياً في طبعه. أما إذا بكى رجل كبير السن، فإن دموعه تكون أغلى وأوقع، ولها أسباب أشد، وأعمق، بحيث لم يستطع هذا الكبير أن يضبط نفسه.

📖 **الإنسان الرقيق يتأثر بأقل شيء، وتسيل دموعه بسرعة وتلقائية.**

📖 وهي دموع طبيعية لا تصنع فيها، لأن مشاعره الحساسة تتأثر بسرعة، سواء بما يخصه أو يخص غيره. وهناك أمور عديدة تهز القلب، بالنسبة إلى أصحاب المشاعر الرقيقة، بينما لا تؤثر في غيرهم من أصحاب القلوب الجامدة، أو القاسية، أو من الذين لهم قوة السيطرة على مشاعرهم، أو الحرص على إخفائها.

📖 **الدموع والقسوة لا يتفقان.**

📖 إلا إذا صدمت القاسي بأسباب أقوى من قسوته، قهرته من الداخل وانهار أمامها! تماماً كما حدث لعيسون، حينما صدم بضياع البركة منه بحيلة من أخيه. ولم يحتمل الصدمة فصرخ باكياً {تك ٢٧: ٣٤، ٣٨}. على أن بكاء القاسي شيء مؤقت. وهو أيضاً شيء غير طبيعي. أما بكاء الإنسان الرقيق فهو أمر طبيعي، ومتكرر، ومحتمل الحدوث في أي وقت، لسبب داخلي أو خارجي. لهذا، فإن الذي يحب الدموع، ويرغب في اقتنائها، عليه أن يقتنى رقة الطبع أولاً

📖 إن لم يكن رقيق الأحاسيس بطبيعته، فعليه أن يقتنى هذه الرقة، ويبحث عن أسبابها، ويدرب نفسه عليها. وطبيعي كلما اقترب الإنسان إلى الله كلما رقت مشاعره. وكلما عاشر رقيقي الطبع، كلما تعلم منهم رقتهم. كذلك علية أن يبتعد عن الأسباب التي تؤدى إلى شدة الطبع، وقساوة القلب، وهي كثيرة:

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٥٢ ـ ٥٤

📖 **٢ـ الشعور بتفاهة العالم:**

📖 الذي يعيش في ملاذ العالم وملاهيه، من أين تأتيه موهبة البكاء؟!

📖 بل العالم يشغله، ويلهيه. حينما كان سليمان الحكيم متمتعاً بأبهة الملك وفخامته، ومهما اشتهته عيناه لم يمنعه عنهما {جا ٢: ١٠}. في

ذلك الحين ما كان يبكي. ولكنه لما شعر بتفاهة العلم، وبأن كل ما فيه هو باطل الأباطيل وقبض الريح، حينئذ استطاع أن يقول: "بكآبة الوجه يصلح القلب"، "الذهاب إلى بيت النوح، خير من الذهاب إلى بيت الوليمة، لأن ذاك نهاية كل إنسان، والحى يضعه في قلبه. قلب الحكماء في بيت النوح، وقلب الجهال في بيت الفرح" {جا ٧: ٢-٤}.

📖 عندما يدرك الإنسان الأمور على حقيقتها، ويشعر بتفاهة العالم، ولا تلذ له كل مغرياته، حينئذ يشعر بفراغ من جهة العالم. وتتغير مشاعره. يشتاق إلى عالم آخر، وإذ يجد العالم الآخر بعيداً عنه، يبكي اشتياقاً إليه وحنيناً.

📖 يشعر بغربة في هذا العالم الحاضر، وتبكيه مشاعر الغربة. متيقناً أن فرحة الحقيقي ليس هو ههنا. لأنه غريب على الأرض، نزيل مثل جميع آبائه، يتطلع إلى وطن سماوي، إلى المدينة التي لها الأساسات. {عب ١١: ١٦، ١}،

📖 لذلك صدق حس المرتل، حينما دعا هذه الدنيا "وادى البكاء". وقال عن حياتنا فيها: "عابرين في وأدى البكاء" {مز ٨٤: ٦}. كان القديسون يبكون، إذ كانوا يشعرون بغربتهم في العالم، ويشتاقون إلى عالم أفضل، زاهدين في كل ما ههنا. لا تشبعهم أفراح هذه الدنيا، ولا ترضيهم. حقا إن الإنسان يدرك الدموع الروحية، حينما يصل إلى حياة التجرد، أو على الأقل إلى محبة التجرد، حينئذ يبكي على الأيام التي قضاها متعلقاً بتفاهات العالم ومنشغلاً بها، ويقول للرب كما قال القديس أوغسطينوس "لقد تأخرت كثيراً في حبك، أيها الجمال الفائق الوصف".

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٥٤ ـ ٥٦

📖 ٣- تذكر الخطايا:

📖 إن بطرس الرسول لم يكن يدرك تماماً حقيقة ما يفعل، وهو يسب، ويجدف، وينكر المسيح. ولكنه لما صاح الديك، وأحس بعمق خطيئته، "خرج خارجاً، وبكى بكاء مراً" {مت ٢٦: ٧٥}.

📖 وهكذا أيضاَ فعلت المرأة الخاطئة، التي بلت قدمي الرب بدموعها، ومسحتهما بشعر رأسها {لو ٧: ٣٨}. وبالمثل بكى داود النبي، لما اظهر له ناثان النبي عمق خطاياه {٢صم ١٢: ٧}. إن نسيان الخطايا يجفف القلب، ويجفف العينين. لذلك حسناً قال داود النبي: "خطيتي أمامي في كل حين" {مز ٥.}.

📖 فليتك تفعل هذا، وتجعل خطاياك قدام عينيك، تذل بها نفسك وتوبخها، وتبكي على هذه الخطايا النهار والليل. فإن البكاء على الخطايا يغسل القلب، ويطهر الروح، ويعطى يقظة للضمير، فيمنع الإنسان من العودة إلى الخطيئة مرة أخرى، ويعلمه الحرص والتدقيق. ولهذا فإن نصيحة تتكرر في بستان الرهبان، يقولها الآباء لمن يطلب كلمة منفعة: "اجلس في قلايتك، وابك على خطاياك".

📖 وغفران الله للخطية، لا يمنع بكاء الخاطئ عليها. إنه لا يبكي خوفاً من العقوبة. إنما يبكي لأنه أحزن قلب الله بخطاياه، أحزن روح الله الذي في داخله، وابعد عنه الملائكة المحيطين به، وكشف نفسه رديئة أمام أرواح المنتقلين، ويبكي أيضاً لأنه بخطيئته قد فقد صورته الإلهية، وسقط وتدنس.

📖 يبكي متألماً، كيف ضعفت إرادته هكذا، وتدنست روحه؟ ويشعر بالخجل أمام نفسه، وبالخزي أيضاَ. كما قال دانيال النبي في المزمور: "خزى وجهى قد غطاني" {مز ٤٤: ١٥}. وكما قال دانيال النبي وهو يعترف بخطايا الشعب "يا سيد، لنا خزى الوجوه لملوكنا، لرؤسائنا، ولآبائنا، لأننا أخطأنا إليك" {دا ٩: ٨، ٧}.

📖 **وهكذا كان القديسون يبكون أيضاَ من أجل خطايا الشعب.**

📖 يبكون حزناً على الذين يسقطون، والذين يهلكون، كما ناح صموئيل على شاول الملك {١صم ١٥: ٣٥}. ويبكون طالبين المغفرة للناس، وطالبين لهم نعمة للتوبة.

📖 كما بكى عزراً الكاهن بسبب خطايا الشعب، ومزق ثيابه ونتف شعر راسه {عز ٩: ٣}. وصلى وأعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله" {عز ١.: ١}. وقال: "اللهم أنى أخجل وأخزى أن أرفع يا الهى وجهى نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء" {عز ٩: ٦}.

📖 ونفس الوضع حدث مع نحيما، حينما أعترف بخطايا الشعب وقال: "إني أنا وبيت أبى قد أخطأنا وأفسدنا أمامك" {نح ١: ٦، ٧}.

📖 ومن أجل الشعب أيضاً بكى إرمياء النبي: وتسجلت دموعه ومراثيه في سفر كامل في الكتاب نقرؤه باستمرار في الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة.

📖 إن كان الناس لا يبكون على خطاياهم، فمن واجب القديسين أن يبكوا من أجلهم، طالبين لهم الرحمة، والمغفرة، وطالبين لهم التوبة.

📖 لقد بكى السيد المسيح على أورشليم {لو ١٩: ٤١}، إذ كان يبصر هلاكها أمام عينيه. ونحن في كل يوم نبصر الذين يسقطون ويهلكون، والذين ينحرفون ويبتعدون. أفلا يستحقون منا البكاء؟

📖 إن نحميا، لما سمع أن سور أورشليم منهدم، وأبوابها محروقة بالنار، يقول: "فلما سمعت هذا الكلام، جلست وبكيت، ونحت أياماً وصمت وصليت" {نح ١: ٣،٤}.

📖 وبكى نحميا أمام الله معترفاً بخطايا الشعب. وقال للرب في صلاته "إني أنا وبيت أبى قد أخطأنا. لقد أفسدنا أمامك، ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك"

📖 والسيد المسيح لما بكت عليه بنات أورشليم، قال لهن: "لا تبكين على، بل أبكين على أنفسكن، وعلى أولادكن" {لو ٢٣: ٢٨}. حقاً، كانت تلك النفوس تحتاج إلى البكاء، تلك الخاطئة التي بكى المسيح من أجلها. حينما نبكى على خطايانا، نتذكر أيضاَ محبة الله التي صبرت علينا كل هذا الزمان.

📖 نتذكر احتمال الله لنا، وطول أناته، ونحن مستمرون في الخطأ زماناً هذه مدته. وتذكرنا لمحبة الله الصابرة والمحتملة، تعطينا سبباً جديداً للبكاء تأثراً بمعاملته المترفقة. وحينما تبكي النفس التائبة أمامه، يشفق الرب، ويغلب من تحننه، ويقول لتلك النفس: "حولي عينيك عن، فإنهما قد غلبتاني" {نش ٦: ٥}.

📖 **إن داود النبي من أبرز الأمثلة للبكاء على الخطايا.**

📖 يكفي قوله "في كل ليلة أعوم سريري. بدموع أبل فراشي" {مز ٦} تعبر عن الوقت واستمرار البكاء. وعبارة "أعوم سريري" تدل على كمية الدموع المنسكبة!

📖 تصوروا هذا الملك العظيم، ويرجع إلى قصره ليلاً، فيخلع عنه تاجه، وملابسه الملكية، ويركع أمام الله باكيا، ليبلل فراشه بالدموع. وحتى إذا نام، ينام على سرير غارق في الدموع. على الرغم من كل مظاهر العظمة، والأبهة المحيطة.

📖 ويقول أيضاَ: "صارت دموع لي خبزاً نهاراً وليلاً" {مز ٤٢: ٣}.

📖 وأيضاً يقول في تذلله وبكائه: "أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بالدموع" {مز ١,٢: ٩}. أي أنه حينما يشرب، تتساقط دموعه فتختلط بالماء الذي يشربه، فيشربها معه!

📖 وكان داود يحدث الله عن هذه الدموع، فيقول له: "أنصت إلى دموعي، ولا تسكت عنى، لأني غريب عندك" {مز ٣٩: ١٢}،

📖 "اجعل دموعي في زق عندك" {مز ٥٦: ٨}.

📖 إن الذين يسرعون إلى الفرح حال توبتهم، يفقدون بركة الانسحاق وتعزية الدموع. وقد يرجعون إلى الخطية مرة أخرى، لأن التوبة لم تستوف مطالبا من الانسحاق، ومن البكاء، وهذا الفرح السريع عطل القلب عنه الشعور بمرارة الخطية وفداحتها، فعبر عليها كما لو كانت أمراً بسيطا.

📖 حينما يبدأ التائب في البكاء، والتذلل أمام الله، يحاربه الشيطان بعبارة: "امنحني بهجة خلاصك" {مز ٥}. والملاحظ أن داود النبي قدمها كطلبة، ولم يعرفها كحالة. ولا شك أنه لا يتمتع ببهجة الخلاص إلا الذي أدراك مرارة الخطية، وبكى بكاء مراً كما فعل القديس بطرس الرسول.

📖 لقد كان خروف الفصح يمثل الخلاص من عبودية فرعون، ويرمز إلى ذبيحة المسيح {١كو٥: ٧}. ومع ذلك كان أمر الرب أن يأكلوه على أعشاب مرة {خر ١٢: ٨} متذكرين خطاياهم التي جلبت لهم العبودية. البكاء إذن هو الوسيلة إلى التعزية، كما قال الكتاب: "الذين يزرعون بالدموع، يحصدون بالابتهاج" {مز ١٢٦: ٥}.

📖 بهذه الدموع التي تسكبها أمام الله تحصل على بهجة خلاصه

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٥٧ ـ ٦٢

📖 ٤ـ التجارب والضيقات:

📖 التجارب، الضيقات، والآلام، والأمراض، والكوارث، تجلب الدموع أحياناً. وبخاصة لو شعر الإنسان بالتخلي، أو أنها عقوبة بسبب خطاياه. وهنا يدخل في البكاء عامل روحي، سببه شعور الإنسان أن النعمة قد فارقته، أو أن الله يسلمه إلى أيدى أعدائه. فيحزن لذلك ويبكي.

📖 **فأحياناً يبكي توبة وندماً، وأحياناً يبكي في عتاب مع الله.**

📖 ولعل هذا ما فعله داود في تجاربه وضيفاته، حينما قال في المزمور: "لماذا يارب تقف بعيداً؟ لماذا تختفى في أزمنة الضيق؟" {مز ١: ١}.

📖 والرب يسمح أحياناً بالتجارب، لا تخلياً منه، وإنما لفائدتها الروحية. لأن الإنسان في وقت المذلة تجلب له انسحاق القلب، وتواضع الروح، وفيضاً من الدموع يشعره بضعفه، ويزيل منه كل أسباب ومظاهر الكبرياء.

📖 **وقد يرى الله أن دموع أحد أبنائه قد جفت بلذة العالم.**

📖 فيسمح له بالتجارب والضيقات، لكي تعصر عينيه بعد أن تعصر قلبه. والله لا يمنع هذه التجارب حتى عن قديسيه. وفى هذا يقول المزمور: "كثير هي أحزان {بلايا} الصدقين، ومن جميعها ينجيهم الرب" {مز ٣٤: ١٩}. إنه يسمح بهذه البلايا أن تصيب قديسيه. فإن أتت بنتائجها الروحية، حينئذ ينجيهم منها.

📖 وهنا أحب أن أفرق بين نوعين من التجارب ونوعين من الدموع.

📖 نوع علماني والآخر روحي: هناك تجارب مادية أو عالمية، تصيب الإنسان، في ماله، أو جاهه، أو مركزه، فيبكى حزناً لذة ضائعة من ملاذ هذه الدنيا. وربما في بكائه يتذمر، ويتضجر، حتى على الله نفسه!! كأن الله كان سبباً في بلاياه! مثل هذا الإنسان دموعه خطية. ولسنا عن هذا النوع نتحدث.

📖 إن دموعه تدل على محبته العالم، والأشياء التي في العالم، التي تبيد وشهوتها معه {إيو ٢: ١٦،١٧}، وإنسان آخر كلما تضغط عليه التجارب، يشعر بتفاهة الدنيا، ويشتاق إلى عالم أفضل، هذا إنسان روحي، إن بكى، يبكي خوفاً من تخلى النعمة عنه. أوانه يكون قد أحزن الرب، فتركه إلى هموم العالم. هذا الإنسان بكاؤه روحي ممزوج بالتوبة، وتواضع القلب، وممزوج بالاعتراف أيضاً.

📖 وقد يقول في قلبه: "إن ما حدث لي، أقل بكثير مما أستحقه بسبب خطاياي. وخير لي أن أستوفى البلايا على الأرض كلعازر المسكين" {لو ١٦: ٢٥}. أو يقول مع المرتل في المزمور: "خير لي يارب أنك أذللتني، حتى أتعلم حقوقك" {مز ١١٩: ٧١}.

📖 إن مثل هذه الدموع تجلب للقلب عزاء، لأن الله يكون قد قبلها كرائحة سرور قدامه، وقبل دوافعها الروحية أيضاَ.

📖 وقد تكون التجارب من ضغط حروب الشياطين، ويبكي الإنسان شاعراً بضعفه، طالباً من الرب معونة. فشعور الإنسان بأنه أضعف من أن يقاتل هذه القوى الروحية، قد يجلب دموعاً، خوفاً من أن يسقط. أو أن أفكار العدو تكون قد نجست إنسان الله، فيبكى حرصاً على نقاوة قلبه، وفكره، وشعوره، ويجاهد طالباً نعمة الله معه.

📖 وعن هذه الحرب الروحية، أرسل بولس الرسول موبخاً العبرانيين بقوله: "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية" {عب ١٢: ٤}.

📖 هذا الجهاد حتى الدم، تدخل الدموع عنصراً فيه. حيث يخاطب الرب قائلاً: "أنصت إلى دموعي" {مز ١١٩}، ولا تتخل عنى، لأني بدونك لا أستطيع أن أفعل شيئاً {يو ٥:١٥}

📖 هناك سبب أخر للدموع وهو:

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٦٣ ـ ٦٧

📖 ٥ـ تذكار الموت:

📖 المنشغل بالحياة الحاضرة لا يبكي، بل قد يقول مثل الغنى الغبي: "أهدم مخازني وأبنى أعظم منها، وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي. وأقول لنفسي: يا نفسي لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة فاستريحي وكلى واشربي وافرحي" {لو ١٢: ١٨، ١٩}. إن متع الدنيا تلهيبه عن أبديته، فلا يبكي، بل يفرح ويتمتع!!

📖 أما الإنسان الروحي، فإن يضع أبديته أمامه في كل حين، ويدرك أن يوم الرب قد يأتي كلص {رؤ ١٦: ١٥}، تراه يستعد لهذه الأبدية، وما تستلزمه من حياة التوبة، والجهاد، والكمال المطلوب، والقداسة.

📖 **وإذ يذكر الموت يبكي. لأنه ليس مستعداً له.**

📖 ولا يزال أمامه جهاد طويل، لم يسر فيه خطوه واحدة. إن أرسانيوس العظيم، رجل الوحدة، والصمت، والصلاة، كان يبكي لتذكار الموت.

📖 إن كان الإنسان الروحي يبكي لتذكار الموت بصفة عامة. فكم يكون بكاؤه إن كان الموت متوقعاً لسبب واضح يوحى به!

📖 إن البكاء وحدة ليس هو كل شيء. وليس هو بسبب مفارقة الأهل والأحباب، وأو مفارقة ملاذ الدنيا، كما يفعل أهل العالم ومحبوه! إنما هو بكاء مصحوب باستعداد روحي، استعداد لمقابلة الله. وهكذا كان القديسون ينصحون بتذكار الموت، وبزيارة المقابر.

📖 إن القديس الأنبا أنطونيوس تأثر روحياً بوفاة أبيه بالجسد، وزهد الدنيا، وخرج منها بإرادته، قبل أن يخرجوه كارها. وموكب موت شاهده الأنبا بولا ترك تأثيره أيضاَ، فترك العالم، والمال، والقضايا، وصار أول السواح.

📖 وكان القديس أبا مقار الكبير يضع أحياناً جمجمة تحت رأسه تذكره بالموت. وأبا مقار الإسكندراني زار إحدى المقابر. والقديس أنطونيوس الكبير في بدء حياته الرهبانية سكن في مقبرة.

📖 **تذكار الموت له فوائده العديدة، الدموع واحدة منها.**

📖 تذكار الموت يوقف الإنسان أمام حقيقة نفسه، وأنه مجرد بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل {يع ٤: ١٤}، وأنه "كزهر الحقل كذلك يزهر. لأن ريحاً تعبر علية فلا يكون، ولا يعرفه موضعه بعد" {مز ١٠٣:

١٥، ١٦}. ولذلك حسناً قال داود النبي: "عرفني يارب نهايتي، ومقدار أيامى كم هي، لأعلم كيف أنا زائل" {مز ٣٩: ٤}. وقال أيضاً "إنما كل إنسان قد جعل. إنما كخيال يتمشى الإنسان" {مز ٣٩: ٥، ٦}.

📖 بتذكار الموت، يتضع الإنسان وينسحق. والاتضاع والانسحاق يجلبان الدموع.

الدموع في الحياة الروحية - قداسة البابا شنودة الثالث - صفحة ٦٧ - ٧٠

📖 ٦- الفرح والتأثر:

📖 كمال أن الحزن الشديد يجلب الدموع، كذلك يسببها الفرح العميق أيضاً. إن يوسف الصديق وأباه يعقوب لم يضبطا أنفسهما من البكاء الشديد عند لقائهما بعد غيبة طويلة. التأثر الشديد داخل القلب، فاض دمعاً. ويقول الكتاب إن يوسف لما رأى أباه "وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً" {تك ٤٦: ٢٩}.

📖 **ونفس التأثر والبكاء، حينما عرف يوسف إخوته بنفسه.**

📖 وإن كانت المشاعر وقتذاك تختلف عن مشاعره حين لقائه بأبيه ويقول الكتاب في ذلك: "فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه. فصرخ: اخرجوا كل إنسان عنى. فلم يقف أحد عنده، حين عرف يوسف إخوته بنفسه. فأطلق صوته بالبكاء. وقال يوسف لأخته: أنا يوسف. أحي أبى بعد؟" {تك ٤٥: ١-٣}.

📖 ونفس التأثر نراه حينما قابل يعقوب في غربته، راحيل ابنة خاله. كانت مصادفة مفرحة ما كان يتوقعها. فلما رآها، وسقى لها غنمها، يقول الكتاب: "وقبل يعقوب راحيل. ورفع صوته وبكى. وأخبر يعقوب راحيل أنه أخو أبيها، وأنه ابن رفقة" {تك ٢٩: ١١}.

📖 **إن دموع الفرح باب طويل.**

📖 دموع الفرح بالنجاح والتوفيق. دموع الفرح باللقاء بعد غيبة.

📖 دموع الفرح بعمل الله معنا، في أي أنفاذ من ضيقة. وفى حل أي أشكال معقد. دموع الفرح بالنجاة وبالفرح.
📖 ما أكثر دموع القديسين فرحاً. وليست كلها بكاء على الخطايا.
📖 وهنا نذكر مجالاً آخر للدموع، أو سبباً لها وهو الصلاة.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٠ ـ ٧٢

📖 ٧ـ الصلاة:

📖 يبكي الإنسان في صلاته، إذا كانت صلاته من عمق مشاعره وعواطفه. قد يبكي خشوعاً، وهو يشعر بعدم استحقاقه للوجود في حضرة الله. وقد يبكي أمام المذبح، أو الهيكل، وهو شاعر بهيبة المكان. أو أثناء التناول أيضاً للشعور بنفس الهيبة. وقد يبكي حباً لله، الذي قبله إليه، ولم يصنع معه حسب خطاياه وضعفاته.
📖 وقد يبكي تأثراً ببعض كلمات وردت في الصلاة هزت مشاعره. كما يبكي بعض الآباء الكهنة وهم يصلون قسمة ذبح إسحق في يوم خميس العهد.
📖 وقد يبكي خجلاً، لأنه لم يفي بوعوده التي عاهد الرب بها.
📖 وقد يبكي حزناً على ضعفه وتقصيره، وعلى مرات سقوطه، كما نقول في صلاة نصف الليل: "أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت في القديم للمرأة الخاطئة".
📖 وقد تكون دموعه في صلاته هي دموع التوبة، لأنه استطاع أن يعود إلى الله أخيراً بعد غيبة طويلة، أو بعد غيبة عميقة. إنها مشاعر تختلف من شخص لآخر، يتأثر بها القلب فتدمع العينان. هناك سبب آخر يدعو إلى البكاء وهو:

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٢ ـ ٧٣

📖 ٨ـ الشعور بالعجز:

📖 الذي يشعر بقوته، وقدرته، وسيطرته على المواقف، ربما من الصعب أن يبكي وهو في هذا الشعور. لكن يبكي الذي يشعر في

أعماقه بأنه عاجز، وأو غير قادر على التصرف السليم، أو حائر أمام إشكال. حينئذ يبكي، إذ ليس أمامه سوى البكاء.

📖 وقد يصلى في بكائه طالباً حلاً، ومعونة من القادر على كل شيء، هكذا قد نبكى أمام مريض عجز الأطباء عن علاجه، أو أمام كارثة لا منقذ منها، أو مأساة قادمة ولا مفر من مواجهتها، ولا يمكن تفاديها. ويزداد الألم والبكاء، إن كان هذا الإنسان عاجزاً، وكل من حوله عاجز مثله، في ذلك الموقف.

📖 أو قد يبكي الإنسان بسبب خطية، أو شهوة، أو عادة سيطرت عليه، ويريد أن يتخلص منها، ولكنه شاعر بعجزه أمامها.

📖 أو بسبب عدو بضغط عليه، ويذل في الأرض نفسه، وهو عاجزاً تماماً عن مقاومته ويبدو أنه لا خلاص. هذا الشعور بالعجز، إن اختلط بصلاة وعاطفة، فلا مفر من الدموع. نتحدث عن سبب آخر وهو:

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٣ ـ ٧٤

📖 ٩ـ الشعور بالتخلي:

📖 سواء وقف الإنسان وحده، وتخلى عنه كل الأصدقاء والأحباء، أو بالأكثر الإحساس بتخلي النعمة عنه. شعور القلب بأن الله قد تركه، حتى لو كان شعوراً خاطئاً، ولكنه موجود، يضغط على نفسه فيتألم ويبكي. وبخاصة لو حدث هذا الإحساس بالتخلي وسط ظروف ضاغطة، ومشاكل مؤلمة.

📖 أو لو حدث التخلي في سقطات روحية، ظن الإنسان أنه لا قيام منها. أو أحاطت بالإنسان الكوارث أو ألوان من الفشل المتلاحق. وشعر أن كل هذا بسبب تخلى الله عنه، بسبب خطاياه. وفى وسط كل هذا كل هذا يبرز سبب آخر للدموع هو:

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٤ ـ ٧٥

📖 ١٠ـ الشماتة:

📖 وكما قال الشاعر: "كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون ـ غير شماتة الأعداء" إن الشماتة سبب لألم عميق، سواء من أعداء، أو من معزين متعبين كأصدقاء أيوب {أي ١٦: ٢}

📖 وقد شكا داو النبي كثيراً من هذه الشماتة في مزاميره. فقال: "إلهي عليك توكلت، فلا تخزني إلى الأبد، ولا تشمت بي أعدائي" {مز ٣٥: ٢}. وصرخ في مزمور آخر قائلا: "حتى متى الخطاة؟ حتى متى الخطاة يشمتمون" {مز ٩٤: ٣}.

📖 نرى ميخا النبي يجتذب نفسيته خارج شماتة الأعداء، هذه التي تحزن القلب، فيقول: "لا تشمتي بي يا عدوتي، فإني إن سقطت أقوم" {مي ٧: ٨} إن استمرت الشماتة تدمى القلب وبالتالي تدمع العينين، إلا للذين ارتفعوا تماماً عن كلام الناس حتى القديسون كانت الشماتة الروحية تتعبهم، وبخاصة ممن يقولون: "أين هو الرب اِلهم"!!

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٥ ـ ٧٦

الفصل الخامس

معوقات الدموع

١ـ قسوة القلب	٢ـ إدانة الآخرين	٣ـ العنف
٤ـ الغضب والحقد	٥ـ الحياة في الخطية	٦ـ اللذة والرفاهية
٧ـ التذمر	٨ـ الفخر والكبرياء	٩ـ التهاون والفتور

📖 ١ـ قسوة القلب:

📖 القلب الرقيق الطيب دموعه قريبة. أما القلب القاسي فتبتعد عنه الدموع. من السهل أن يبكي بطرس بكاء مراً. ولكن من الصعب أن يبكي فرعون، أو أن يبكي هيرودس.

📖 **كذلك فإن الشدة والحزم، قد تمنعان الدموع أيضاَ.**

📖 لأن الإنسان يستخدم في ذلك الوقت القوة، لا الرقة، ويستثنى من هذا حالة الحزم النابعة من قلب مملوء من الحب، كما قيل عن السيد في تطهير الهيكل: "يا قو ياً ممسكاً بالسوط في كفه ـ والحب يدمى مدمعك" وفى حديثنا عن القوة والرفة نقول:

📖 إن الدموع عند المرآة أسهل، وأكثر مما عند الرجل. ولكن إن بكى الرجل، تكون دموعه أعمق. ذلك لأن شدته، أو قوته لم تستطع أن تقاوم المشاعر الجياشة. فلابد أن سبب الدموع كان أقوى والانفعال بها كان أشد.

📖 **إن الدموع والقسوة لا يتفقان معاً.**

📖 فإن كنت تطلب الدموع، ابعد عن قساوة القلب بقدر ما تستطيع، نضرب لك الآن بعض أمثلة:

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٨ ـ ٧٩

📖 ٢ـ إدانة الآخرين:

📖 وبالذات القسوة والشدة في الحكم على الناس.

📖 هناك أشخاص عنفاء جداً في أ حكامهم. إذا انتقدوا إنساناً، ينتقدونه بشدة وبقسوة، وبقلب خال من الحب، ومن العطف، وخال من تقدير ظروف الآخرين. الإنسان الذي هذا حالة، لا يمكن أن تسيل دموعه، إلا إذا تخلص من هذه المشاعر!

📖 الحديث عن أخطاء الناس، أو التشهير بهم، سبب من الأسباب الرئيسية التي تمنع الدموع. وفى نفس الوقت فإن هذا التشهير سبب من الأسباب التي تقسى القلب، وتبعده عن الرقة التي يتصف بها أولاد الله.

📖 إدانة الآخرين ليست فقط قسوة وعنفاً. وإنما فيها أيضاً ينسى الإنسان خطاياه الخاصة. والذي ينسى خطاياه، يبعد عن أهم مصدر للدموع. أما الإنسان الروحي، فإنه يشفق على الخطاة متذكراً قوة

العدو وحروبه، وضعف الطبيعة البشرية، ومتذكراً أيضاً خطاياه وسقطاته. فيبكي على الساقطين كما يبكي على نفسه، وفي ذلك قال القديس بولس الرسول: "اذكر المقيدين، كأنكم مقيدون معهم، والمذلين كأنكم أيضاً في الجسد" {عب ١٣: ٣}.

📖 رجل الدموع يمكن أن تكون عنده هذه المشاعر. ومن عنده هذه المشاعر يمكن أن يقتني الدموع. وهكذا كان القديس يوحنا القصير. حينما كان يرى إنساناً يخطئ، كان يبكي ويقول: "هذا الإنسان سقط اليوم. وقد أسقط أنا مثله غداً، وربما يخطئ هو يتوب ويخلص، بينما أخطئ أنا ولا أتوب". وهكذا كانت خطايا الناس تدفعه إلى البكاء، ولا تدفعه إلى والإدانة.

📖 والقديس موسى أيضاً كان باستمرار يتذكر خطاياه، لا خطايا الناس، وهناك قاعدة روحية تقول: "إن الإنسان يسقط عادة في الخطايا التي يدين الناس عليها". والله يسمح بهذا، لكي يخزى كبرياء الذين يدينون غيرهم. لكي نعرف أننا إذا سرنا حسناً فليس هذا لقوة فينا، إنما بسبب معونة تأتينا من فوق. فإن أدنا غيرنا بقساوة قلب، تتخلى عنا النعمة الحافظة، فنسقط مثلهم.

📖 وحينما نسقط، ونبكي على خطايانا، شاعرين بضعفنا، وبأن الخطية: "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقويا" {أم ٧: ٢٦} وحينئذ ترق قلوبنا، ونشفق على غيرنا، ولا ندين الساقطين، بل نبكي من أجلهم. شاعرين بأن الشيطان نشيط، ونشاطه يدعونا إلى الخوف والحرص، والبكاء، وطلب معونة.

📖 **مثلما نسمع أن أسداً في الطريق قد افترس إنساناً.**

📖 لا ندين هذا الإنسان، بل نبكي عليه، ونبكي على أنفسنا من خطر هذا الأسد المفترس، الذي شبة به الرسول عدونا الشيطان الذي يجول ملتمساً من يبتلعه {١بط ٥: ٨}، أو مثلما نسمع عن وبأ أصاب آخرين فماتوا. هل نبكي عليهم، أم ندينهم.!؟

📖 هكذا الخطية، وهكذا الشيطان، وهكذا حال الذين يسقطون، والذين يدينوهم. الإدانة إذن هي قسوة، ونسيان لقوة العدو، ونسيان للضعف البشرى. وكلها أمور تبعد الدموع.

📖 **وبنفس الوضع نتحدث عن الإدانة المستترة.**

📖 ونقصد بالإدانة المستترة، التي تختفي وراء النصح، أو التوبيخ، أو الإنذار. ولعلك تسأل: هل معنى هذا إنني لا أنصح أحداً ولا أحذره؟

📖 أقول لك: يمكن أن تفعل هذا، ولكن في محبة، وليس بروح التعالي. وتذكر قول بولس الرسول لرعاة أفسس: "متذكرين إنني ثلاث سنوات ليلاً ونهاراً، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل أحد" {أع ٢: ٣١}. لإنه ينذر، ولكن بدموع. بدموع فيها حب ورقة، وخوف عليهم من السقوط، وتقدير للضعف البشرى.

📖 تذكر أن الطبيب حينما ينزع جزءاً فاسداً من مريض، إنما يفعل ذلك يحنو، دون أن يشمئز من فساد هذا الجزء الذي بقطعه، ودون أن يدين المريض بسبب ذلك. سبب آخر يمنع الدموع وهو:

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧٩ ـ ٨٣

📖 ٣ـ العنف:

📖 الإنسان العنيف لا يبكي. إنما يمنع عنه الدموع. أياً كان هذا العنف ونوعه. فالقاتل لا يبكي. وقد يكون القتيل في حالة تذيب القلوب، وقد يتوسل إليه. ولكن قساوة قلبه في العنف، تجفف عينيه.

📖 قد يبكي فيما بعد، حينما يرجع إلى نفسه ويتذكر قسوته.

📖 وكذلك المخرب والتأثر. وحتى العنيف في المنافسة، أو الخصومات، أو النزاع مع الناس أياً كان نوعه

📖 الذي يصيح ويعلو صوته في نقاشة مع الآخرين، هذا تهرب منه الدموع. الذي يحل المشاكل بعنف، أو يقرض عقوبات على مرؤوسيه بعنف، أو يستخدم العنف في المعاملات.

📖 هذا أيضاً بعيد عن موهبة الدموع. وبالمثل الغضوب:
الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٨٣ ـ ٨٤

📖 ٤ـ الغضب والحقد:

📖 من المحال أن إنساناً غضوباً، تكون له موهبة الدموع.

📖 الدموع كما قلت تتمشى مع رقة القلب، والإنسان الغضوب يتصف بالحدة، والعنف، والقسوة. وهذه كلها ضد الدموع.

📖 **من الجائز أن إنساناً غضوباً، يبكي من الغيظ والقهر.**

📖 مثلما بكى عيسو لما اكتشف أن أخاه يعقوب أخذ منه البركة {تك ٢٧: ٣٨}. ولكن هذه ليست من الدموع الروحية التي نتحدث عنها.

📖 ومن الجائز أن دموع الغيظ والقهر، توجد في العلاقات العائلية، أو مجالات العمل. إنها دموع، ولكن ليست من النوع الروحي. ربما يدفع إليها اليأس، أو العجز، أو الفشل، أما الدموع الروحية فتصدر من قلب نقى، رقيق، حساس.

📖 الذي يقتنى موهبة الدموع، ثم يسلك في الطبع الغضوب، يفقد تلك الموهبة. ويجد أن دموعه قد جفت، أو فارقته، على الأقل في وقت غضبه. فإن كان الله قد وهبك دموعاً، ثم فقدتها أدخل إلى داخل نفسك، وابحث عن السبب وعالجه. واسأل نفسك: هل كان الغضب من أسباب فقدك للدموع.

📖 **الغضوب يركز أثناء ثورته على أخطاء غيره.**

📖 أما صاحب موهبة الدموع، فيركز على أخطائه الخاصة. تركيزه على أخطائه الخاصة يبكيه، متذكراً ضعفه وسقوطه وانفصاله عن الله. أما التفكير أثناء الغضب في أخطاء الغير، فإنه قد يثير المشاعر والأعصاب، كما أنه ينسى الإنسان خطاياه.

📖 وقت البكاء هو وقت مشاعر وأحاسيس. أما وقت الغضب، فهو وقت أعصاب، وثورة، وقسوة. وقت البكاء يسوده الحب، وأما وقت الغضب فتسوده الكراهية. لذلك لا تلم غيرك، إنما لم نفسك. فلآباء يقولون: "ملامة النفس تمنع الغضب". وإن غضب الذي يلوم نفسه، فإنما يغضب على نفسه، لا على غيره. لذلك نقوا أنفسكم من الغضب، إن أردتم أن يهبكم الله موهبة الدموع.

📖 كذلك فإن الحقد أصعب، وأقسى من الغضب.

📖 إن كانت إدانة الآخرين تمنع الدموع، والغضب يلاشيها. فمن باب أولى الحقد، والكراهية، والعداوة، لأنها درجات أكبر من الغضب، وأعنف. وتدل على قسوة في القلب، ورفض لغفران إساءة المسيء. وكلها تعكر القلب، وتفقده رقته. من الأسباب الأخرى التي تعوق الدموع: الحياة في الخطية.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٨٤ ـ ٨٦

📖 الحياة في الخطية:

📖 الألم بسبب الخطية، يجلبب الدموع، ويكون في التوبة. أما الحياة في الخطية، والتلذذ بها، فيمنعان الدموع.

📖 لأنه على أي شيء يبكي الإنسان، إن كان مسروراً بحياة الخطية التي يعيشها؟! إن البكاء قد يأتي من وخز الضمير الثائر علية. أما في التمتع بالخطية، فإن الضمير يكون نائماً أو مخدراً!! والإنسان تقوده المتعة، لا الضمير.

📖 بل الإنسان في الخطية، قد يبكي إن فقد الخطية!!

📖 وتكون دموعه في هذه الحالة خطية. مثلما بكى بنو إسرائيل في البرية، ما لم يجدوا لحماً يأكلونه {خر ١٦: ٣}، ومثلما يبكي إنسان مدمن، لا يجد ما اعتاد من المخدرات. أو كما يبكي محب المال، إن

فقد أمواله! أو كما يبكي محب اللذة الجسدية، إن أغلقت أبوابها أمامه. أو محب العظمة والسلطة إن فقدها، وأصبح شخصاً عادياً!! وكلها دموع عالمية، أو مادية، تعتبر خطية تضاف إلى الخطايا السابقة.

📖 **فهذه الدموع الخاطئة تدل على محبة عميقة للخطية.**

📖 وبالتالي تدل على انفصال القلب عن الله. كما تدل على تعلق القلب بالعالم، والماديات. وليست هي نوع الدموع الروحية التي نتحدث عنها. على أنه قد يحيا الإنسان أحياناً في الخطية، وتوجد له دموع روحية. فكيف ذلك؟ نذكر لهذا مثلاً.

📖 قد يحيا إنسان في الخطية، مقهوراً من عادة مسيطرة عليه. فيبكي إذ يريد من كل قلبه أن يتخلص من الخطية، وإرادته أضعف من أن تساعده! هذا الإنسان تنتشله النعمة، ويعتبر الله بكاءه بداية للتوبة. وينظر إلى قلبه لا إلى عمله، إن كان صادقاً في نيته وفي دموعه. وإن كان يفعل الخطية وهو غير متلذذ بها، إنما وهو مقهور منها. فاللذة أيضاً تفقد الدموع.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٨٧ ـ ٨٨

📖 **٦ـ اللذة والرفاهية:**

📖 اللذة بطبيعتها تتناقض مع الدموع. والذي يعيش في لهو، ومتعة، ورفاهية، يتمتع بالمال، والمادة، والسلطة، وكل متعة عالمية. هذا الإنسان من أين تأتيه الدموع؟! بل إنه يحتاج إلى دموع الناس عليه، لكيما يصل إلى حياة الدموع.

📖 الذي يحيا حياة اللذة والمتعة، يكره الدموع، لأنها تعكنن عليه!! وتقطع حبل متعته، وتكون كنشاز في الحن، ملاذه كل هذه الأشياء، حتى لا يفكر في أبديته! لذلك أبعد عن حياة اللذة، حينئذ تدرك تفاهتها، فتبكى على الأيام الذي ضيعتها فيها.

وحينئذ تنشد مع سليمان الحكيم: "الكل باطل وقبض الريح"، باطل الأباطيل، الكل باطل ولا منفعة تحت الشمس" {جا١}. لقد قال هذه العبارات إنسان مجرب، ذاق كل متع الدنيا، على تعدد أنواع، وقال في ذلك: "ومهما اشتهته عيناي، لم أمنعه عنهما" {جا٢: ١٠}. ومع ذلك وجد الكل الباطل، ووجد أنه "بكآبة الوجه يصلح القلب" {جا٧: ٣}.

ينبغي أن تعرف أن حياة اللذة، هي ضدك، وليست لك. وهي تنسيك حقيقتك! الابن الضال حينما كان يعيش في حياة اللذة العالمية، ما كان يدري ما هو فيه. ولكنه وصل إلى التوبة، وإلى انسحاق النفس، حينما عاد إلى نفسه، وشعر بسوء خالته، وعندئذ فقط بدأ حياته الحقيقية كابن، وعاد إلى بيت أبيه.

كذلك نقول: إن الاستغراق في الضحك، والمزاح، يمنع الدموع.

حقاً كما قال الحكيم: "للبكاء وقت، وللضحك وقت" {جا ٣: ٤}. ولكن مع ذلك فإن الذين يعيشون في حياة كلها مزاح وضحك، من الصعب أن يصلوا إلى حياة الدموع. على الأقل في وقت ضحكهم، يكونون بعيدين عن الدموع.

إذن، إن كانت حياة اللهو، والضحك، واللذة، والمتعة، تمنع الدموع. فإننا نقول من الناحية العكسية: إن التجارب، والضيقات، والأمراض، والآلام، هي من مسببات الدموع. ففيها يشعر الإنسان بضعفه، وبثقل النير عليه، فيتجه إلى الله، ويسكب دموعه أمامه.

ولكن على شرط أن يقبل التجارب، والضيقات بغير تذمر.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٨٨ ـ ٩١



٧ـ التذمر:

أن التذمر سبب من الأسباب التي تمنع الدموع.

📖 فإن الإنسان في تذمره يكون ساخطاً، وشاعراً بأنه لا يستحق كل هذا الذي يحدث له. وفى سخطه وتذمره يفقد التواضع، ويفقد الانسحاق اللذان يجلبان الدموع.

📖 وفى التذمر، يشعر الإنسان أنه مظلوم، وبالتالي يدين من يظلمه. وهكذا ينتقل من التفكير في خطاياه، إلى التفكير في خطايا غيره. وهذا ضد منهج الدموع. والذي يتذمر قد يتذمر على الله نفسه، فيجدف وفى كل ذلك يكون بعيداً عن الجو الروحي الذي تسيل فيه الدموع. بل إنه تذمره قد يدخل في قساوة القلب، وفى الاعتداد بالذات، وفى الغضب، والحقد.

📖 ولا يمكن أن يجد دموعاً وسط هذه المشاعر الخاطئة كلها إن كانت الدموع تتفق مع التواضع، والانسحاق، فلا شك أن كبرياء القلب، وكبرياء التصرف، كلها تمنع الدموع.

📖 وإن كانت الدموع تتفق مع لوم النفس وتبكيت الذات، فبالتالي يكون الفخر، والحديث عن فضائل النفس، من الأسباب المانعة للدموع. فلا يمكن أن يبكي الإنسان وهو سعيد بذاته يرفع شأنها، ويمتدح صفاتها.

📖 نفس الكلام نقوله عن العظمة، ومحبة المناصب، والمتكآت الأولى، ومحبة الكرامة، ومديح الناس. فكل هذه تمنع الدموع تماماً. لأن الدموع تتفق مع الشعور بالضعف، وليس مع الشعور بالقوة، والعظمة والسلطان. كذلك فإن الافتخار بالدموع، يمنع الدموع.

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٩١ ـ ٩٢

📖 ٨ـ الفخر والكبرياء:

📖 فقد تسلك في الطريق الروحي السليم، وفى الحياة التوبة، وحياة الاتضاع والانسحاق، وفى كل مسببات الدموع. فإن أتتك الدموع، يحاربك الشيطان بها، لكي يوقعك في المجد الباطل.

فإن فرحت بالدموع، أو افتخرت بها، أو أظهرتها قصداً، حينئذ يمكن أن تمتنع عنك وتنقطع. ولذلك قال القديسون: "إذ ما أتتك الدموع، فلا تنشغل بها. إنما فكر في الأسباب التي جلبت الدموع".

إن بكيت مثلاً بسبب خطاياك، فكر في بشاعة تلك الخطايا، فيزداد انسحاقك، وتزداد دموعك. وحاذر أن تفتخر بدموعك أو تفرح بها، لأنك في هذا الوقت تكون قد نسيت خطاياك، وانتقلت من الانسحاق إلى الكبرياء، أي انتقلت من مسببات الدموع، إلى موانع الدموع.

ولتكن دموعك بينك، وبين الله، لا تكشفها للناس، ولا تتكبر بسببها. فكل ذلك يمنعها بعد مجيئها

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٩٣

٩ـ التهاون والفتور:

الدموع تناسبها الحرارة الروحية بكافة أنوعها، سواء حرارة الحب، أو، حرارة التوبة، حرارة التأثر. أما الإنسان الفاتر، فليست له دموع. يحتاج أن يعود إلى محبته الأولى، وإلى حرارته الأولى، فتعود إلية الدموع. "فاذكر من أين سقطت وتب" {رؤ ٢: ٥}.

وقد يأتي الفتور نتيجة للتهاون أو للرفاهية.

عالج التهاون إذن في حياتك الروحية، واحذر الرفاهية.

إن داود النبي كان في مذلته يمزج شرابه بالدموع {مز ١٠٢: ٩} "وبدموعه كان يبل فراشه" {مز ٦: ٦}. أما في حياة الرفاهية، فلم تكن له دموع، بل كانت هناك الشهوة، والخطية.

كذلك كان ابنه سليمان لم يستفد من الرفاهية، بل انتفع لما عرف أن الكل باطل وقبض الريح. صل إذن وقل: "أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة".

الدموع في الحياة الروحية ـ قداسة البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٩٤



{١٤}
أغناطيوس بريانتشانينوف

🕮 وفي الوقت نفسه، فإن التوبة هذه، تولد العطش إلى نقاوة أكثر. كما والذين تنقوا بفعل النوح، يدركون مقدار نجاستهم، فيستمرون على الإقرار بعدم طهارتهم.

🕮 لقد ذكرنا النصيحة التي أسدى بها القديس صيصوي الكبير لأحد الأخوة، الذي سأله: كيف يرضي الله، وينال الخلاص.

🕮 فقال: إذا أردت أن ترضي الله، قال القديس صيصوي: أترك العالم، ازدر الدنيا، واترك الخلائق كلها، وتعال إلى الخالق. اتحد نفسك بالله عبر الصلاة، والنوح، فتجد راحة في هذه الحياة وفي تلك.

🕮 ثم قال هو نفسه لأخ آخر: واظب على اليقظة في قلايتك، وكن في حضرة الله بدموع كثيرة، مع انسحاق في القلب، فتجد راحة.

🕮 القديس صيصوي الكبير، كان بكل تأكيد يسدي نصائحه للإخوة من صميم خبرته الشخصية.

🕮 فالأول أوعز له أن يترك كل ما هو دنيوي، أي كل تعلق دنيوي.

🕮 أما الثاني فنصحه أن يلازم قلايته.

🕮 وذلك لأنه عندما نتعلق بالخلائق، ونبارح القلاية بدون سبب وجيه، يستحيل علينا أن نختبر التوبة الحقيقية، والنوح أثناء الصلاة.

🕮 يجب أن ينعتق القلب من كل شيء، ومن كل الاهتمامات، فقط إذ ذاك يمكنه أن يبكي أمام الله، ويغرق في النوح {متى٥:٤}، كما في لجة، وكما هو الفرق في الحياة.

🕮 وعندما سأل أحد الأخوة القديس بيمن الكبير، كيف يمكنه أن يلازم قلايته، أجابه القديس وقال: عليك أن تكون كمن غرق في الأوحال حتى رقبته، وهو يحمل أثقالا فوق ظهره، فتصرخ إلى الله:

"ارحمني". بهذه الكلمات يمكننا أن نلخص الحياة الرهبانية كلها، على أنها نوح، وصلاة نابعة من التوبة.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٣٢٣



وسأله أخ آخر: ماذا يعمل؟

فقال له: عندما يحين الوقت كي نمثل أمام الله، فبماذا يكون قلقنا؟

أجابه الأخ وقال: علينا أن ننشغل بخطايانا.

فقال الأب بيمن: إذاً فلندخل إلى مخدعنا، وفي الخفاء نتذكر خطايانا – بتوبة - والرب سوف يسمعنا، ويصغي إلينا.

وسأل أخ أخر القديس بيمن الكبير، وقال له: ماذا أعمل؟

فقال الشيخ: عندما صعد إبراهيم إلى أرض الميعاد، ابتاع لنفسه قبراً، وبه بدأ ينال الأرض الموعودة.

فقال الأخ: وما هي أهمية القبر؟

أجابه الأب بيمن: القبر هو مكان النوح والبكاء.

وسأل أخ أخر القديس نفسه: وماذا أعمل بخطاياي؟

أجابه الأب بيمن، وقال له: إن من أراد أن ينعتق من الخطيئة، عليه أن ينوح ويبكي. ومن أراد أن يحمي نفسه من الخطايا، فإنه بالنوح ينعتق من الخطايا. هذا هو سبيل التوبة المسلم لنا في الأسفار المقدسة، وعند الآباء الذين قالوا ورددوا: "أبكوا"، لأنه ليس من سبيل آخر إلى الخلاص، إلا البكاء.

لقد اعتاد الأب بيمن أن يقول: للنوح تأثير مزدوج:

الأول: يفعل. أما الثاني: فيفي ويحمي.

حدث مرة أن كان الأب بيمن يسير، والأب أنوب في ضواحي ديولكوس، فشاهدا امرأة جالسة عند قبر، وقد راحت تضرب نفسها وتبكي بمرارة. فتوقفا واصغيا إليها.

📖 ثم عادا وتابعا المسير إلى أن ابتعدا قليلا، حيث صادفا أحد السكان.
📖 فسأل الأب بيمن الرجل القروي قائلا: ماذا أصاب تلك المرأة؟ ولماذا تبكي بمرارة؟ فقال الرجل: إنها تبكي لأن زوجها وأخاها قد ماتا. فالتفت الأب بيمن إلى الأب أنوب وقال له: "إذا كان الإنسان لا يميت شهواته الجسدية، ويقتني النوح، كما تفعل تلك المرأة، لا يمكنه أن يكون راهبا، لأن النوح هو حياة الراهب كلها".
تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٢٤

📖 بلغ الأب بيمن نبأ وفاة القديس أرسانيوس الكبير، فبكى وقال: مغبوط أنت يا أرسانيوس، فقد بكيت على نفسك في هذه الحياة. لأن من لا يبكي نفسه ههنا، سوف يبكي هناك. لأنه يتعذر على المرء إلا يبكي طوعا ههنا، أو كرها في العذابات التي هناك.

📖 وبعض الذين لا يشغلون أنفسهم بالحياة الداخلية، وبعمل النفس، أو أنهم يقومون بذلك قليلا فقط، ويعكفون على الأعمال الجسدية فقط، وبشيء من الفريسية، والأعمال الجسدية لا تستمر بدون فريسية، فهؤلاء لا يشعرون بوخز الضمير الذي يبكتهم على خطيئتهم.
📖 لذا فإنهم يظنون أن سلامهم الداخلي جدير بالثناء، فيتشددون ويتيقنون من جراء هذا الرأي، بجدوى الأعمال الحسنة، والمديح البشري. وعلى هذا الأساس يعتبرون سلامهم، نتيجة مباشرة العمل مرضي لله، ونتيجة السيرة فاضلة لا عيب فيها.
📖 وبين الحين والآخر يتحول سلامهم إلى فرح، غير قابل للتفسير والتعليل. ولا يكفون عن التفكير أن فرحهم هو هبة من النعمة.
📖 يا للخداع والضلال: يا له من عمي يفتك بالنفس؟
📖 الضلال ههنا بداعي الاعتداد بالنفس وبالغرور. والغرور من شأنه أن يجرح عين النفس، وفي وقت موافق، يولد عملا هو الأكثر خداعا وضلا.

📖 أخي المحبوب: ان السلام الذي يجعلك تظن أن دربك صحيح، هو بكل بساطة نتيجة لعدم احساسك، ووعيك لاثميتك، وهذا لأنك تحيا في التواني، فالفرح الذي تشعر به بين حين وآخر، وكنتيجة لنجاح ظاهري، ومديح بشري، ليس فرحا روحيا البتة.

📖 إنه ثمرة الضلال، والرضى عن النفس، والمجد الباطل.

📖 أن حالة كهذه من السلام الباطل، يسميها الآباء القديسون «اللااحساس»، أو موت النفس، وموت الذهن، قبل أن يموت الجسد {السلم الدرجة ١٨}.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٢٥

📖 وموت النفس، واللااحساس، ينجمان عن فقدان الإحساس بالتوبة، والنوح في أنفسنا، كما وينجمان عن فقدان الألم الخلاصي - المدعو بالانسحاق - من قلوبنا.

📖 إن ابتعاد القلب عن الألم، والسلام المزيف، هما علامة أكيدة على النظرة الخاطئة، والجهاد الخاطئ، والضلال. ومهما كانت حياتنا عظيمة، يقول يوحنا السلمي: «فنحن إن لم نقتن الألم، وقلباً متألماً، لا يمكننا أن نعتبر ذلك تافها، وغير شرعي» {السلم٧:٦٤}.

📖 وعدم التألم يولد من الحياة في التواني، ومن الخروج من القلاية في وقت غير مناسب، ومن الحديث في وقت غير مناسب، ومن المزاح، والضحك، والثرثرة، والوشايات، والتخمة، والتعلق بالأمور الدنيوية، والادعاء والكبرياء.

📖 ويقول الآباء: «إذا كنت تعيش بدون انسحاق، فاعلم أنك في المجد الباطل، لأن المجد الباطل لا يسمح للنفس أن تطلب الانسحاق» {القديس كاليستوس، وأغناطيوس، فصل ٢٨}.

📖 أما السبيل إلى بلوغ الانسحاق فهو: "الحياة في اليقظة".

📖 وبدء التوبة: "مخافة الله ـ مع اليقظة".

📖 كما يقول القديس الشهيد بونيفاس. ومخافة الله تولد اليقظة، واليقظة تولد السلام الداخلي، الذي بدوره يولد الضمير، الذي يؤهل النفس كي ترى اهتداءها، وتشوهاتها، كما لو على صفحة ماء هادئ. بهذا تتولد جذور التوبة وبداياتها {القديس سيرافيم، التوجه الروحي ١٥}.

📖 إن الحياة في اليقظة، وبمقتضى وصايا الإنجيل، ورغم أنها السبب الأول للتوبة، إلا أنها بدون النعمة الإلهية، تبقي عديمة الثمر، ولا تولد الانسحاق القلبي، والنوح، والدموع، التي هي التوبة الرهبانية الحقيقية.

📖 ولتأكيد هذا التعليم النابع من الخبرة، وهو أمر بالغ الأهمية، فإننا نأتي بالدليل من الآباء القديسين: يقول القديس يوحنا السلمي: «إن من غادر العالم كي ينفض عن نفسه أثقال خطاياه،

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٢٦

📖 عليه أن يقتدي بالذين يجلسون خارج المدينة، بين القبور، وان يتابع جداول دموعه الحارة، وأنينه القلبي غير المسموع، إلى أن يرى هو أيضاً أن يسوع جاء إليه، ودحرج عنه صخرة قساوة القلب، وحل لعازر، أعني به ذهننا، من أكفان القبر التي هي خطايانا، وأمر خدامه الملائكة: حلوه من أهوائه، ودعوه يذهب {يوحنا١١:٤٤}. إلى اللاهوي المغبوط. والا فإنه لا يكون قد حاز شيئا من جراء تركه للعالم» {السلم ١: ٦}.

📖 ويقول القديس إسحق السرياني: "وما هي العلامات الحقيقية، والإشارات التي على أساسها يستطيع الراهب، أن يدرك أن الثمار الخفية التي لأعماله، قد بدأت تنمو في نفسه؟"

📖 فيجيب: "عندما ينال - هذا الراهب - عطية الدموع المنهمرة بغزارة، وبدون أي جهد. فالدموع هي للذهن، التمييز الأكيد بين الحالة الروحية، والحالة الجسدية، بين الهوى والنقاوة.

📖 ومن لم ينل هذه العطية، فإن عمله ما يزال في الإنسان الخارجي، وهو لا يدرك أي شيء يتعلق بالعمل الخفي، الذي في الإنسان الروحي. إلا أنه عندما يبدأ بترك الحياة الجسدية التي في هذا العالم، ليدخل إلى العالم الداخلي، القائم وراء الطبيعة المنظورة، فإنه سرعان ما يبلغ عطية الدموع.

📖 وهذه الدموع تبدأ من الحياة المحتجبة، وتقود الإنسان إلى كمال محبة الله. وعندما يبلغ هذا الحد، تكثر الدموع التي تتساقط على طعامه وشرابه، وتكون غزيرة ودائمة.

📖 وهذه تكون علامة أكيدة، على أن الذهن قد غادر هذا العالم، وشرع يدرك العالم الروحي. ولكن كلما اقترب الذهن من العالم الدنيوي، كلما تناقصت هذه الدموع. وعندما ينغمس الإنسان بالأمور الدنيوية، فإن هذا الإنسان يصبح بدون دموع. وهذا علامة على أنه بات غارقا في الأهواء {الفصل ٣٥}.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٣٢٧

📖 ويقول القديس سمعان اللاهوتي الجديد: «قبل بلوغ النوح والدموع، لا ندع أحدا يخدعنا بالكلام المعسول الباطل، ولا نخدع نحن أنفسنا، فليس فينا توبة، ولا تأنيب للنفس، ومخافة الله ليست في قلوبنا.

📖 فلو أننا لمنا أنفسنا، لكنا اقتنينا هذا الإدراك، وبلغنا إليه، فمن شأنه أن يولد الدموع فينا. بدون هذه الدموع يستحيل أن نلطف قساوة قلوبنا، ويستحيل أن تقتني نفوسنا روح التواضع، ويستحيل أن نتضع. وبدون التواضع، يستحيل أن نأتي إلى معاينة الله ومعرفته،

وهذا علامة أن قلبنا ما يزال غير مستحق في الداخل، لمعرفة فضيلة التواضع {فيلوكاليا، جزء ١، فصل ٩٩}.

📖 والحياة في اليقظة من شأنها أن تقود إلى الانسحاق.

📖 والانسحاق المصحوب بالدموع، يولد مزيدا من اليقظة، وأعني بذلك: "عطية النعمة". النوح والدموع هي عطية من الله.

📖 لذلك، فبالإضافة إلى الحياة في اليقظة، أطلب هذه العطية بصلاة حارة: «اطلبوا تجدوا، اسألوا تعطوا. اقرعوا، يفتح لكم ... وأباكم السماوي، يهبكم البركات الروحية، أعني بها النوح والدموع» {مت٧:٧-١١}.

📖 ويقول القديس يوحنا السلمي: «عندما أتأمل في طبيعة الانسحاق انذهل، كيف أن ما يسمى نوحا وحزنا، يحوي فرحا وغبطة متحدتين معا، اتحاد العسل بالشهد. ماذا عسانا نتعلم من ذلك، أن مثل هذا الانسحاق هو بمعنى خاص، عطية الله» {السلم٧:٤٩}.

📖 وقال القديس سمعان اللاهوتي الجديد بقوة، أن علة النوح والدموع هي إرادتنا الحرة. فعلينا نحن يعتمد رفض التشتت. وعلينا يعتمد الإقلاع عن الطواف بين قلاية وأخرى لزيارة الأخوة، ومغادرة الدير للاتصال بالمعارف والأصحاب، وعلينا يتوقف الإقلاع عن المزاح. والمحادثات الجانبية والثرثرة.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٢٨

📖 آن قرارا بسيطا تتخذه الإرادة، هو كل ما نحتاج إليه، للبدء بحياة اليقظة أثناء الصلاة، وأثناء مطالعة كلمة الله، مع امتناع المعدة عن الإفراط. والحياة في اليقظة لا تتوانى عن توليد الانسحاق والنوح، سيما عندما نطلب من الله بصلاة حارة، أن يهبنا هذه العطية

الخلاصية. وعندما نحظى بها، علينا أن نصونها، فهي كنز لا يقدر بثمن. هذا ما هي عليه. إنها كنز روحي، وغنى لا يقدر بثمن.

📖 وعندما تقتنى، يمكنها أن تفقد بسهولة، إذا سلمنا أنفسنا للتلهي والعبث.

📖 إن الانغماس بأهوائنا وخيالاتنا، وإرضاء الناس، والاهتمامات الدنيوية، الطمع، والنميمة والافتراء، وكثرة الكلام دون أن نلاحظ ذلك، بها جميعا، يمكننا أن نعبر من حالة الانسحاق اللطيف، إلى حالة اللاحساس.

📖 واللاحساس عنصر مهم بالنسبة لعدونا غير المنظور. وهو يبذل كل جهده كي يرمينا فيه، دون أن يزعجنا بهذا أو ذاك من الأهواء، أو التجارب التي من خارج.

📖 وكل هذا لأن الاعتداد بالنفس، والرضى عنها، تصاحب في العادة اللاحساس، والضلال والكبرياء، والتي هي النتائج الطبيعية للاحساس، وتكفي في ذاتها لتبديد كل العطايا الروحية، لا بل النفس ذاتها، واللاحساس هي الأكثر رعبا، وذلك لأن ضحيتها لا يدرك حالته القاتلة والمميتة. فهو مضلل وقد ضربه العمى، بداعي اعتداده بنفسه، واكتفائه بها.

📖 يقول القديس سمعان اللاهوتي الجديد: «الانسحاق هو ثمرة طاعة الوصايا، وعلة كل العطايا، والثمار الروحية. الانسحاق هو علة الفضائل ومبررها، كما يشهد على ذلك كل الكتاب المقدس الموحى. لذا فإن من يود أن يقطع دابر الأهواء، ويقتني الفضائل، ينبغي أولاً، وقبل كل شيء، أن يطلب الانسحاق بكل إخلاص.

📖 بدون الانسحاق، لن يرى نفسه نقية وطاهرة. وقبل أن يقتني نفسا نقية وطاهرة، سوف لن يقتني جسدا طاهرا.

📖 الوشاح الوسخ لا يمكن غسله بدون ماء، هكذا لا يمكن للنفس بدون دموع أن تغسل وتتنقى من أدرانها ونجاساتها.

📖 دعونا لا نقدم أعذار شريرة، غبية، ومزيفة، فهي ليست ولن تكون إلا سببا لهلاكنا. إنما دعونا نطلب بكل قوتنا أن ننال ملكة الفضائل. ومن يطلبها من كل قلبه يجدها، أو قل إنها تأتي وتجد من يطلبها بشغف.

📖 وحتى لو كان قلبه أشد صلابة، وقسوة من النحاس والحديد والحجر، فإنها بقدومها إليه تحيله أكثر نعومة من الشمع.

📖 إنها النار الإلهية التي تدمر الجبال والصخور، وتقلب كل شيء وتبدله، وتغيره، محولة النفوس التي تقبلها إلى جنائن.

📖 وفي قلوب هؤلاء، تقيم نبع ماء يفيض ماء حياة. وهذه المياه تفيض على الدوام لتغمر هذه الجنائن، وتفيض في النفوس التي تتقبل كلمة الحياة بإيمان {يعقوب١:٢١}.

📖 أولا: هي تغسل المشاركين فيها، وترفع كل ادرانهم وأوساخهم.

📖 بعد ذلك تشرع بتنقية الأهواء، فتفركها، وتمحقها، مزيلة إياها كالقشور التي فوق الجراح. إنها تزيل مبددة التعاطي المزدوج، الحسد والغيرة، المجد الباطل وكل الأمور الأخرى التي تلوذ بها.

📖 ولا تفعل هذا فحسب، بل هي كاللهيب - الذي يحرق كل شيء - تبددها محرقة إياها كالأعشاب والأشواك.

📖 في البداية، تثير فينا الرغبة بالحرية الكاملة، والتنقية من الأهواء، ومن ثم تهبنا الشوق إلى الله الذي يخلص، ويعد بركاته للذين يحبونه {١ كور٢:٩}.

📖 وكل هذا تفعله النار الإلهية، نار الانسحاق، وذلك بمؤازرة الدموع، أو بالأحرى بواسطة الدموع. بدون الدموع - كما قلنا - لا تكون هذه البركات فينا، ولا في أي إنسان آخر، ويستحيل أن نجد في الأسفار الإلهية إنسانا، في كل زمان، تنقى، وتقدس، ونال الروح القدس، أو عاين الله، أو شعر به في داخله، أو تقبله كمقيم في قلبه، بدون دموع وانسحاق دائم.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٣٣٠

📖 لا شيء من هذا يمكنه أن يحدث، إلا إذا سبق الانسحاق والتوبة، فضلا عن الدموع المنسكبة كما من نبع يغمر العينين، ويغسل هيكل النفس، لا بل النفس ذاتها، منديا ومنعشا الإنسان كله، وموشحا إياه بغطاء من النار التي لا يدني منها. {خروج ٢٠٣ -١٩: ١٨ - عب ١٢: ٢٩ - ١ تيمو٦: ١٩- ٢ سا ١: ٨}.

📖 أما الذين يقولون انه يستحيل ذرف الدموع والبكاء كل ليلة، وكل يوم، فهم يقرون معترفين أنهم ضعفاء في كل فضيلة.

📖 فإذا كان آباؤنا القديسون قد قالوا وصرحوا، أن من أراد أن يقطع دابر الأهواء، فإنه يقطعها بالنوح فقط، إذاً من الواضح إن من لا يبكي كل يوم، لن يتمكن من قطع دابر الأهواء، ولن يقوى على إطلاق الفضائل، حتى ولو اعتز بنفسه، فظن أنه قادر على تحقيق الفضائل.

📖 قل لي ما جدوى الأدوات في أية مهنة، أو حرفة، في غياب الحرفي الحاذق الماهر الذي يحسن استخدامها؟

📖 ما جدوى البستاني إذا كان يزرع بستانا كاملا، ويغرس ويزرع كل أنواع الأعشاب والنباتات، لكن المطر الذي ينزل من فوق، قد انحبس، ولا أحد يقوم بسقايتها؟ بكل تأكيد لا جدوى من كل ما يفعله.

📖 هكذا أيضاً، فإن من يمارس فضائل أخرى، ويعمل بها، لا ينتفع مهما كان عمله، بدون هذه السيدة المغبوطة والطاهرة، التي تولد كل الفضائل.

📖 وكما أن الملك ضعيف بدون جيوشه، ومن شأن ذلك أن يجعله ينهزم بسهولة، لا بل لا يعود ملكا بل إنسانا عاديا، هكذا من الناحية الأخرى، فإن جيشا جرارا بدون قائد وملك، يبدد بسهولة، وتحطمه الأعداء.

📖 هكذا أيضاً هي العلاقة بين النوح والفضائل الأخرى. ففي صورة الجيش، أفهم تجمع الفضائل كلها عند المبتدئ، وفي صورة الملك والقائد، افهم النوح المغبوط، والبكاء الذي بسببه تنتظم حركة الجيش كله، فينتعش، ويتشدد، ويباشر بالعمل مسلحا كما ليل يجب.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٣١

📖 وهكذا يا إخوتي، فقبل كل نشاط وعمل، لتكن التوبة عملنا الأول، وليكن النوح والتوبة في صحبة الدموع. ليس من نوح بدون توبة، كما أنه ليس من دموع بدون نوح. وهذه الثلاثة تتحد وتتماسك فيما بينها، لأنه يستحيل للواحدة من هذه الثلاثة أن تظهر بدون الاثنين اللذين معها.

📖 والسبيل الروحي الذي للتوبة والنوح، له قوة تجعله منيعا في وجه الخداع الشيطاني، أو الضلال الشيطاني. وفضائله يمكننا أن نقف عليها من الأمثلة المقتبسة في نصائحنا السابقة.

📖 لكن كيف يستطيع الشيطان أن يضرب من يجاهد، كي يميط اللثام عن إثميته، فيعمل على ما اكتشفه، وقد تأثر بسببه، فهم يطلب رؤى أعمق؟ كيف يضرب إبليس من يجاهد كي يرى في نفسه ما هو عليه كخاطئ، بحيث أن عمله الخارجي والداخلي، هو في أن يقدم لله وعيه، وإقراره بإثميته.

📖 يقول القديس غريغوريوس السينائي: "انه عندما يرى إبليس إنسانا يحيا في النوح، يبتعد عنه، ويغار من تواضعه الذي هو وليد نوحه" {توجيهات إلى الهادئين - الفصل ٧ - في الخداع الشيطاني}.

📖 ورغم أن إبليس يجرب أمثال هؤلاء الباكين، إلا أنه يتعرى - وبسهولة فائقة أمامهم ويطرد. إن المعتز بنفسه، الذي يرى في نفسه القدر والقيمة، لا يمكنه أن يطرد غواية إبليس من الخارج، وذلك لأن إبليس سبق أن امتلكه وكله من داخل.

📖 النساك الجهال يظنون أنهم بلغوا مرامهم، وذلك عندما يرون أنهم قديسون، لكون العالم يسميهم هكذا. ويفرحون لهذا، ويسرون باعتدادهم وعنفوانهم الذي فيهم، غير مدركين خطورة العنفوان، والاعتداد بالنفس، وغير مدركين أن الثناء هو من علامات الأنبياء الكذبة. وهذه العلامة بالغة الأهمية، والرب يسوع المسيح يقول ذلك:

📖 "الويل لكم إذا قال فيكم كل الناس حسنا. لأن هذا ما قاله أباءهم لأنبيائهم الكذبة» {لوقا ٩:٢٩}.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٣٢

📖 الراهب الحقيقي يفرح عندما يبدأ برؤية خطيئته، وعندما يدرك في قناعته أنه أدنى، وأكثر إثماً من كل إخوته، وعندما يهتز هلعا لدى تفكيره بدينونة الرب، والعذابات الأبدية، وعندما يختلج صدره بالتنهد والأنين، وعندما يتنقى ذهنه بالدموع، فيقف أمام الله وجها لوجه، يعاين غير المنظور بواسطة المنظور.

📖 يا لها من مشاهدة مغبوطة. في نور هذه يستطيع المجرم والمنحرف، أن يقدم لله توبة حقيقية، عن الجرائم التي ارتكبها، ويمكنه أيضاً أن يحرك الكلي الرحمة، كي يرحمه بفعل دموعه الغزيرة، وتعرية نفسه البائسة.

📖 ويمكنه أن يطلب من الله الحنون المسامحة، فضلا عن هبات روحية خالدة أخرى، لا تعد ولا تقدر بثمن.

📖 إن أعظم نجاح عند الراهب هو أن يرى أنه خاطئ، فيقر بخطيئته. إنه نجاح عظيم عندما يثبت الراهب، من خلال كل أعماله أنه وبمنتهى الإخلاص، يقر أنه خاطئ.

📖 وعندما يدرك الذهن خطاياه التي هي كرمل البحر في كثرتها، فهذا يجعله يبدأ بالعمل من أجل استنارة النفس، وهذا علامة عافية على نحو ما قال القديس البار في الشهداء {بطرس الدمشقي الكتاب الفصل٢}.

📖 ويستطيع الذهن أن يعاين خطاياه، وذلك عندما تلامسه نعمة الله، فهو وبسبب الظلمة التي غشيته من جراء السقطة، عاجز عن رؤية خطاياه. إن رؤية خطايانا وإثميتنا هي هبة من الله.

📖 والكنيسة الأرثوذكسية المقدسة تعلم أبناءها أن يطلبوا من الله هذه الهبة، بالصوم، والسجدات، سيما أثناء الصوم العظيم المقدس.

📖 إن عطية رؤية خطايانا، وحالتنا المعطوبة، والألفة، والاتصال بين الإنسان المعطوب، والملائكة الساقطة {الشياطين} غنية على نحو لا يدرك عند الآباء القديسين.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٣٣

📖 إلا أنهم ورغم وفرة عطاياهم الروحية، والتي هي الدليل على قداستهم، كانوا يواظبون على التوبة الدائمة، والبكاء بلا انقطاع، وكانوا يغسلون أنفسهم بدموعهم.

📖 ان أقوال الآباء القديسين على هذا المستوى، ومن خلال هذه الحالة، لا يمكن أن يفهمها الذهن الشهواني. لذا فقد اعتاد القديس بيمن الكبير أن يقول إلى الأخوة العائشين معه: "يا إخوتي، صدقوني، حيث سيرمي إبليس، هناك، سأرمي أنا أيضاً". والرب يقول: لأن من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه سيرتفع» {لوقا١٨:١٦}.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣٣٤



{١٥}

كتاب بستان الرهبان

قيل عن أنبا أرسانيوس أنه:

في زمان الحر كان يرطب الخوص بدموعه وهو يضفر، من اجل ذلك كان شعر جفونه يتساقط من كثرة البكاء.

كتاب بستان الرهبان ـ طبعة بني سويف ـ صفحة ٥٨



كيف يخلص الراهب:

قيل: أتي أنبا موسى مرة ليستقي ماء، فوجد أنبا زكريا على البئر يصلى، وكان ممتلئاً من روح الله. فقال له: "يا أبتاه قل لي ماذا أصنع لأخلص"، فما أن سمع الحديث حتى انطرح بوجهه عند رجليه، وقال له: "يا أبى لا تسألني أنا".

قال أنبا موسى: "صدقني يا أبني زكريا، إن أبصرت روح الله حالاً عليك، ولذلك وجدت نفسي موسوقاً من نعمة الله أن أسألك.

فتناول زكريا قلنسوته، ووضعها عند رجليه وداسها، ثم رفعها ووضعها فوق رأسه وقال: "إن لم يصر الراهب هكذا منسحقاً فلن يخلص.

كتاب بستان الرهبان ـ الأنبا زكريا ـ صفحة ٨٠



قال شيخ:

"أن أنت اتبعت المسكنة، والضيقة، والإمساك، فإنك تحيا".

وقال أنبا أبرام: "إذا أمسك الإنسان بالضيقة، فهو ينمو وينظر جميع قوات الله، وجميع حسناته".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٦٤



قال أنبا أغاثون: "ألزم التعب هاهنا، ولا تكف عن البكاء".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٠

قال شيخ: "إن الله لا يشاء أن يكون الراهب الحريص المجاهد بالحقيقة، مرتبطاً البتة بشيء من متاع هذه الدنيا، حتى ولا إبرة صغيرة، لئلا تفصل فكره عن ذكر ربنا يسوع المسيح، وتشغله عن الالجاج {المثابرة} في التوبة عن خطاياه.

كل إنسان قد ذاق حلاوة المسكنة، يستثقل الثوب الذي يلبسه، والكوز الذي يشرب فيه الماء، لآن عقله قد اشتغل بأشياء أخري روحانية. الذي لم يبغض بعد متاع الدنيا، كيف يقدر أن يبغض نفسه كما قال السيد؟"

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٣ ـ ١٧٤



وقال شيخ: "كل من يحارب إبليس وجنوده بالقتال، وهو لأجل ذلك ينوح، ويبكي ساهراً، طالباً معونة، فهو يُستجاب لآن السهر يحل الخطية، والبكاء يحل الذنوب".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٥٦



قال أنبا موسى الأسود:

ينبغي لنا أيها الحبيب أن نجتهد بقدر استطاعتنا بالدموع، أمام ربنا ليرحمنا بتحننه. لآن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٣

قال شيخ: "سبيلنا أن نتطهر بالدموع ما دمنا في هذا العالم، قبل أن نمضي إلى حيث تحرق دموعنا أجسادنا".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٣



سأل أخ شيخاً: "كيف يقتني الإنسان البكاء؟".

📖 **فقال:** "يقتني الإنسان البكاء إذا كان عقله يذكر دائماً خطاياه، وموته، ودينونته".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٣

📖 **وقال شيخ:** "كما أننا نحمل معنا ظلنا أينما ذهبنا، كذلك يجب أن يكون البكاء معنا في كل موضع، كالقول: "أُحمي كل ليلة سريري وبدموعي أبل فراشي".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٣

📖 **وقال أخر:**

📖 "من لا ينشق قلبه بالتحسر والتنهد، وكان فراغاً من صلاة الدموع، وعادماً من القراءة، فهو سائر في التيه، لأنه إذا ما أخطأ لن يحس".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٣

📖 **سأل أ شيخاً قائلاً:** "ماذا أصنع لأخلص؟".

📖 **قال له:** "يجب إن تبكي دائماً".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٤

📖 **قال القديس لنجيوس:**

📖 "البكاء يُعمد الإنسان، ويجعله بغير خطية".

📖 **وقيل:** إنه كان لهذا الأب تخشع كبير في صلاته وقراءته.

📖 فقال له تلميذه مرة: "هل هذا هو القانون الإلهي يا أبى، أن يبكي الإنسان في خدمته لله؟"

📖 **فأجابه:** "نعم يا ولدى، هذا هو القانون، ليس لآن الله قد صنع الإنسان للبكاء، بل للفرح والسرور، وليخدمه بطهارة قلب، وعدم خطية كالملائكة، فلما سقط الإنسان في الخطية، احتاج إلى النوح والبكاء، وحيث عدم الخطية، فليست هناك حاجة إلى البكاء".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٦٤

📖 **قال شيخ:** ذهبنا مع إخوة إلى دير خارج الإسكندرية، على بعد ١٥ ميلاً، فلقينا أنبا تودرى، وقد كان رجلاً كثير التعب في الرهبنة، ومعه موهبة الصبر. فحدثنا عن أخ كان ساكناً في القلالي الكائنة خارج الإسكندرية، وكان قد أقتنى له موهبة البكاء.

📖 وفي يوم من الأيام أوجعه قلبه، واعتراه بكاء كثير، فلما رأي كثرة البكاء، قال لنفسه: "هذه علامة دالة على إن يوم موتى قد دنا"، فكان كلما تفكر في ذلك كان البكاء يزداد، ويكثر كل يوم.

📖 فلما انتفعنا من حديث الشيخ سألناه: "عن الدموع، لأي سبب يا أبانا تأتى الدموع من نفسها مرة، ولا تأتى من نفسها مرة أخري؟".

📖 فقال لنا الشيخ: "الدموع مثل المطر، والراهب مثل الفلاح، فينبغي له إذا أبصر الدموع قد جاءت، أن يحرص ألا يفوته شيء منه، بل يصرفه كله إلى أرضه.

📖 حقاً أقول لكم يا بُنى: أنه ربما يكون يوم واحد ممطر، أفضل من السنة كلها، فمن أجل ذلك إذا رأينا المطر قد جاءنا، فلنحرص أن نحفظ أنفسنا، ونتفرغ إلى التضرع إلى الله دائماً، إذ لا ندرى هل نجد يوماً أخر مثل اليوم الذي جاءنا فيه البكاء أم لا".

📖 **فسألناه نحن أيضاً وقلنا:** "أخبرنا يا أبانا: "كيف ينبغي للإنسان إن يحفظ ذلك البكاء إذا جاء؟".

📖 قال لنا الشيخ: "من قبل كل شيء، لا يتوجه ذلك الإنسان الذي يأتيه البكاء في ذلك اليوم، أوفي تلك الساعة، أو تلك السنة، إلى إنسان. ويتحفظ ألا يملأ بطنه، وألا يستكبر في قلبه، ويفضل أن يبكي، وأن يتفرغ للصلاة، والقراءة. فإذا جاء النوح فهو يعلمه الأمور التي تضره، والأمور التي تأتى به".

ثم حدثنا الشيخ وقال: "إني أعرف أخاً كان جالساً في قلايته يعمل في الضفيرة، وكانت الدموع تأتيه بغزارة، فكان إذا رجع إلى العمل في الضفيرة يجمع عقله، ويأتيه البكاء.

حتى في القراءة كذلك، فإنه إذا أخذ الكتاب جاءه البكاء، وإذا تركه ذهب عنه، حينئذ قال لنفسه، حسنا ما قاله الآباء: "إن النوح هو معلم الإنسان كل شيء ينفع نفسه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٥ ـ ٢٦٦

"أوقد سراجك بدموع عينيك". "الزم البكاء فيترحم الله عليك، لكن احذر من أن تكون صغير القلب، لآن صغر القلب يجلب الأحزان".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٤

قال شيخ:

"النوح يغسل الخطايا، وبتعب كثير يصل الإنسان إليه".

"لا يأتي البكاء إلا بكثرة الهذيذ، وبذكر الموت، والدينونة المرهوبة، والعذاب الدهري، وأن تفكر {تضع همك} في نفسك، وتقطع هواك، وتحمل الصليب".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٧

وقال أخر: "إن كان إنسان يجربه إبليس بأوجاع الخطية، ويبكي وينوح لذلك بين يدي الله، فإن الله يشتاق إليه، لآن التنهد قادر أن يحل الخطية، والبكاء يغسل الذنوب".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٧



حدث أن مضي ثلاثة إخوة إلى الأب بفنوتيوس:

وسألوه كلمة، فقال لهم الشيخ: "أمضوا، وليكن عندكم الحزن أفضل من الفرح، والتعب أفضل من النياح، والإهانة أفضل من الكرامة، وليكن عطاؤكم أكثر من أخذكم".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٨



📖 **قال القديس موسي الأسود:**

📖 "النوح يطرد جميع أنواع الشرور عند ثورانها"

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٢٣



📖 **قال أنبا أوغريس:**

📖 "لا تنسي إنك أخطأت، حتى ولو أنك قد تبت. بل أجعل النوح، وتذكار الخطية اتضاعاً لك، لكي بالاتضاع تتقي الكبرياء".

📖 "كما إنك تخفي خطاياك عن الناس، كذلك أخف أتعابك أيضاً. فإن كنت لله وحده تظهر نقائصك، فلماذا تظهر للناس تلك الأتعاب التي تصنعها لأجلها، بقلة رأي.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٢٣

